فهرس الائمّة الاثنا عشر

التقديم :

الامام الاول :

الامام امير المؤمنين على بن ابى طالب (ع).

الامام على ومكونات الشخصية :

الامام علي (ع) والجانب الموروث في شخصيته :

١ـ الامام على (ع) والوراثة من الابوين :

٢ـ الامام علي والتربية في حجر النبي (ص):

النبي ياخذ عليا الى بيته :

علي في غار حرا.

٣ـ البيئة الرسالية وشخصية الامام :

البعد الرابع لشخصية الامام (ع):

تسليط الضوء على شخصيته السامية .

تنصيب علي (ع) للامامة :

١ـ النبوة والامامة توامان :

٢ـ قصة الغدير:

مصادر الواقعة :

واقعة الغدير ورمز الخلود:

بعض خصائصه :

الامام الثاني :

ابو محمد الحسن بن على (ع) المجتبى .

الامام الثالث :

الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) سيد الشهدا.

اباؤه للضيم ومعاندة الجور:

رفضه البيعة ليزيد:

الدافع الواقعي للهجرة الى العراق :

الامام الرابع :

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) زين العابدين .

١ـ هيبته ومنزلته العظيمة :

٢ـ زهده وعبادته ومواساته للفقرا:

الثروة العلمية للامام :

رسالة الحقوق :

الامام الخامس :

ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) الباقر.

الامام السادس :

جعفر بن محمد (ع) الصادق .

الامام السابع :

ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) الكاظم .

الامام الثامن :

علي بن موسى بن جعفر ـ عليهم السلام ـ الرضا.

الامام التاسع :

محمد بن علي بن موسى ـ عليهم السلام ـ الجواد.

رجوع الجواد الى المدينة :

الامام العاشر:

ابوالحسن علي بن محمد بن علي ـ عليهم السلام ـ الهادى .

آثاره العلمية :

وفاته :

الامام الحادى عشر.

ابومحمد الحسن بن علي بن محمد ـ عليهما السلام ـ العسكرى .

حصيلة البحث :

الامام الثاني عشر:

الامام المهدي بن الحسن بن علي ـ عليهم السلام ـ المنتظر.

في من راى المهدي في بيت الامام العسكري :

اسئلة مهمة حول المهدى ـ عجل الله تعالى فرجه ـ:

كيف يكون اماما وهو غائب ؟ وما فائدته ؟.

لماذا غاب المهدى (ع)؟.

الامام المهدي وطول عمره :

علائم ظهوره (ع) , ماهي ؟.

الائمّة الاثنا عشر

التقديم :

لا يـاتـي المرء بجديد اذا ذهب الى القول بان الحقبة الزمنية التي شهدت البعثة المباركة لخاتم الانبياء مـحمد (ص) و سنوات عمره المعطاة القصيرة كانت تشكل بحد ذاتها انعطافا رهيبا وتحولا كبيرا فـي حـيـاة الـبشرية , في وقت شهد فيه الخط البياني الدال على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج الـسـمـاوي وشـرائـعـه المقدسة انحدارا عميقا وترديا ملحوظااصبح من العسير على احد تحديد مدى انتهائه وحدود ابعاده .

بلى , ان مجرد الاستقراء المتعجل لابعاد التحول الفكري و العقائدي في حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية في ارض الجزيرة ـ المسترخية على رمال الوهم و الخداع وسيل الدم المتدافع ـ يـكـشـف وبلا تطرف ومحاباة عظم ذلك التاثير الايجابي الذي يمكن تحديد مساره من خلال رؤية الـتـحـول الـمـعـاكـس فـي كـيـفية التعامل اليومي مع احداث الحياة وتطوراتها, وبالتالي في فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الانسان ودوره في بنا الحياة .

كـمـا ان هـذه الحقائق المجسدة تكشف بالتالي عن عظم الجهد الذي بذله صاحب الرسالة (ص) في تحقيق هذا الامر و تثبيت اركانه , في وقت شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعا ملحوظا في جميع قيمها و معتقداتها, و خلطا و تزييفا مدروسا في مجمل عقائدها ومرتكزات افكارها, كرس بالتالي مسارها المبتعد عن الخطالسماوي ومناهجه السوية , وان اي استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك ـوالتي كـانـت تـشـكـل الـمـعـيار الاساسي والمفصل المهم الذي تستند اليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية وتشذب من خلاله ـ يكشف عن عمق الماساة التي كانت تعيشها تلك الامم في تلك الازمنة الغابرة .

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك ـ و التي تعتبر في تصور العوام و فهمهم مصدر القرارالعرفي و الشرعي المدير لشؤون الناس و المتحكم بمصائرهم و مسار تفكيرهم ـتنحصر في ثلاث مراكز مـعـلومة اركانها الاساسية : اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدي وفكري يستند الى ثروات طائلة كـبـيـرة , والـصـليبيون بما يشكلونه من قوة مادية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها الى ابعد النقاط والحدود, واصحاب الثروة والجاه من المتنفذين والمتحكمين في مصائر الناس .

و مـن هـنـا فان كل الضوابط الاخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها بما يتلائم وتوجهاتها التي لا تحدها اي حدود.

ان هـذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لان تسلخ الانسان من كيانه العظيم الذي اراده اللّه تعالى لـه , و دفـعه عن دوره الكبير الذي خلق من اجله عندما قال تعالى للملائكة : (اني جاعل في الارض خـلـيفة) بل تعمل جاهدة لان تحجب تماما رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الانسان ليبقى دائما بيدقا اعمى تجول به اصابعهم الشيطانية لتنفيذ افكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة .

واما ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة , فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود امام تيارات التزييف والكذب والخداع التي مسخت صورتها الى ابعد الحدود.

نعم بعث محمد (ص) الى قوم خير تعبير عنهم قول جعفر بن ابي طالب للنجاشي :ايها الملك كنا اهل جـاهلية نعبد الاصنام , وناكل الميتة , وناتي الفواحش , ونقطع الارحام , ونسي الجوار, ويـاكل القوي منا الضعيف .

هذا في الوقت الذي كانت فيه مراكز القوى تلك تتضخم وتتعاظم على حساب ضياع البشرية وموت مبادئها.

وهـكـذا فـقد كانت الدعوة الاسلامية الفتية و صاحبها (ص) في مواجهة هذه المراكز بامتداداتها الـرهـيـبـة وقـدراتها العظيمة , والتي شكلت اعنف مواجهة شرسة وقتال ليس له مثيل صبغ ارض الجزيرة ورمالها الصفرا, بلون احمر قاني لسنوات لم يعرف فيها رسول اللّه (ص) و خيرة اصحابه للراحة طعما وللسكون مسكنا.

ان تلك الحصون المليئة بالشر والخراب لم تتهاوى الا بعد جهد جهيد وسيل جارف من الدما الطاهرة التي لا توزن بها الجبال , من رجال اوقفوا انفسهم وارواحهم من اجل هذا الدين وصاحبه (ص).

استطاع رسول الله (ص) ان يقيم حكومة الله تعالى في الارض وان يثبت فيها الاركان على اساس الواقع والوجود, فلم تجد آنذاك كل قوى الشر بدا من الاختباء في زوايا العتمة والظلام تتحين الفرص السانحة والظروف الملائمة للانقضاض على هذا البنيان الذي بدا يزداد شموخا وعلوا مع تقادم السنين .

ولقد كان رسول الله (ص) يدرك عيانا ان نقطة ضعف هذه الامة يكمن في تفرقها وفي تبعثر جهودها سيمكن من ظهور منافذ مشرعة في هذا البنيان الكبير لا تترددا‌ركان الكفر واعدا الدين المتلونين والمتسترين من النفوذ خلالها والتسلل بين اهلها, وفي ذلك الخطر الاكبر ولذا فان رسول الله (ص) كان يصرح ويحذر من افتراق امته , ويلوح للمفترقين بالنار والجحيم .

بيد ان ما حذر منه (ص) وما كان يخشاه , بدت اول معالمه الخطرة تتوضح في اللحظات الا ولى لرحيله (ص) وانتقاله الى عالم الخلود, وعندها وجد اعداهذا الدين الفرصة مؤاتية للولوج الى داخل هذا البنا والعمل على هدمه بمعاول اهله لا بمعاولهم هم .

فتفرقت هذه الامة فرقا فرقا وجماعات جماعات , لا تتردد كل واحدة من ان تكفرالاخرى وتكيل لها التهم الباطلة والافترات الظالمة , وانشغل المسلمون عن اعدائهم بقتال اخوانهم والتمثيل باجسادهم , وحل بالامة وبا وبيل بدا يستشري في جسدها الغض بهدوء دون ان تنشغل بعلاجه .

نعم بعد هذه السنين المرة من الفرقة والتشتت بدا المسلمون في اخريات المطاف يلعقون جراح خلفتها سيوف اخوانهم لا سيوف اعدائهم في حين ينظر اليهم اعداؤهم بتشف وشماتة .

ان ما حل بالمسلمين من مصائب و تخلف في كافة المستويات اوقعتهم في براثن المستعمرين اعدا الله و رسله يعود الى تفرق كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزق وحدتهم , ولعل نظرة عاجلة لما يجري في بقاع المعمورة المختلفة يوضح لناهذه الصورة المؤلمة والمفجعة , فمن فلسطين مرورا بلبنان وافغانستان , والبوسنة والهرسك , والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزق والتبعثر.

وان كان من كلمة تقال فان للجهود المخلصة الداعية الى الالتفات الى مصدر الدا لااعراضه فقط الثقل الاكبر في توقي غيرها من المضاعفات الخطيرة التي تتولد كل يوم في بلد من بلاد المسلمين لا في غيرها.

ولا نغالي اذا قلنا بان للجمهورية الاسلامية في ايران ومؤسسها الامام الخميني ـرضوان الله تعالى عليه ـ الفضل الاكبر في تشخيص موضع الدا وتحديد موطنه .

ولعل الاستقرا المختصر لجمل توجيهات الامام ـ رحمه الله ـ طوال حياته ولسنين طويلة يدلنا بوضوح على قدرته التشخيصية في وضع يده على موضع الدا,ودعوته الى الالتفات الى ذلك , لا الى الانشغال بما عداه .

فمن ندا له ـ رحمه الله ـ الى حجاج بيت الله الحرام في عام (١٣٩٩ ه) قال : و من واجبات هذا التجمع العظيم دعوة الناس و المجتمعات الاسلامية الى وحدة الكلمة و ازالة الخلافات بين فئات المسلمين , و على الخطبا و الوعاظ و الكتاب ان يهتموا بهذا الامر الحياتي و يسعوا الى ايجاد جبهة للمستضعفين للتحرربوحدة الجبهة و وحدة الكلمة و شعار (لا اله الا الله) من اسر القوى الاجنبية الشيطانية و المستعمرة و المستغلة , و للتغلب بالاخوة الاسلامية على المشاكل .

يا مسلمي العالم , و يا اتباع مدرسة التوحيد رمز كل مصائب البلدان الاسلامية هواختلاف الكلمة و عدم الانسجام , و رمز الانتصار وحدة الكلمة و الانسجام , و قدبين الله تعالى ذلك في جملة واحدة : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)والاعتصام بحبل الله تبيان لتنسيق جميع المسلمين من اجل الاسلام وفي اتجاه الاسلام ولمصالح المسلمين , والابتعاد عن التفرقة والانفصال والفئوية التي هي اساس كل مصيبة وتخلف .

وقال ـ رحمه الله ـ في كلمة له مع وفد من كبار علما الحرمين الشريفين (١٣٩٩ ه):رمز انتصار المسلمين في صدر الاسلام كان وحدة الكلمة وقوة الايمان .

لو كان ثمة وحدة كلمة اسلامية , و لو كانت الحكومات والشعوب الاسلامية متلاحمة فلا معنى لان يبقى ما يقارب مليارد انسان مسلم تحت سيطرة القوى الاجنبية , لوان هذه القدرة الالهية الكبرى تقترن بقوة الايمان ويسيروا جميعا متاخين على طريق الاسلام فلا تستطيع اية قوة ان تتغلب عليهم .

واكد ـ رحمه الله ـ على مغزى سر انتصار المسلمين في صدر الاسلام الاول رغم قلة عددهم و تواضع امكانياتهم , و انكسارهم في الوقت الحاضر مع عظم امكانياتهم و كثرة عددهم بقوله : يا مسلمى العالم ماذا دهاكم فقد دحرتم في صدر الاسلام بعدة قليلة جدا القوى العظمى واوجدتم الامة الكبرى الاسلامية الانسانية ,واليوم وانتم تقربون من مليارد انسان وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التي هي اكبر حربة تقفون امام العدو بمثل هذا الضعف والانهيار , اتعلمون ان كل ماسيكم تكمن في التفرقة والاختلاف بين زعما بلدانكم وبالتالي بينكم انتم انفسكم .

وقال ايضا: اثاره الاختلافات بين المذاهب الاسلامية من الخطط الاجرامية التي تدبرها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين , بالتعاون مع عملائهاالضالين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودة وجوههم اكثر من سلاطين الجورانفسهم , وهؤلا يؤججون نيران هذه الاختلافات باستمرار, وكل يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة , وفي كل مرحلة ينفذون خطة لاثارة الخلافات , آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من اساسه .

وهكذا فان الصورة تبدو اكثر وضوحا عند قراة سلسلة خطب الامام الخميني وتوصياته المستمرة الى عموم المسلمين و خصوصا في مواسم الحج التي تشكل افضل تجمع اسلامي تشارك فيه اعداد ضخمة من المسلمين و من شتى بقاع المعمورة في مؤتمر ضخم لا بد من ان يكرسه المسلمون لتدارس امورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم , حيث ان الامام ـ رحمه الله ـ كان يواظب على اثارة هذه الامور الحساسة والمهمة في حياة الاسلام والمسلمين , ولم يدخر في ذلك جهدا.

كما ان الاطلاع على فتاوى الامام ـ رضوان الله تعالى عليه ـ يكشف بوضوح عمق توجهه الى هذا الامر الحيوي والدقيق , وتاكيده عليه .

فمن توجيهاته ـ رحمه الله ـ الى الحجاج نورد هذه الملاحظات المختصرة :قال : يلزم على الاخوة الايرانيين و الشيعة في سائر البلدان الاسلامية ان يتجنبواالاعمال السقيمة المؤدية الى تفرقة صفوف المسلمين , ويلزم الحضور في جماعات اهل السنة , والابتعاد بشدة عن تشكيل صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبرات الصوت بشكل غير مالوف وعن القا النفس على القبور المطهرة وعن الاعمال التي قد تكون مخالفة للشرع .

يلزم ويجزي (اي يكفي) في الوقوفين متابعة حكم القاضي من اهل السنة , وان حصل لكم القطع بخلافه .

على عامة الاخوة والاخوات في الدين ان يلتفتوا الى ان واحدا من اهم اركان فلسفة الحج ايجاد التفاهم وترسيخ الاخوة بين المسلمين .

وغير ذلك من الفتاوى المهمة التي ندعو جميع المسلمين الى مطالعتها والتامل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الاسلامية مسارها في الدعوة الى وحدة كلمه المسلمين بعد رحيل الامام الخميني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ واخذت تؤكد عليه في كل مناسبة و مكان على لسان قائدها سماحة آية الله السيدعلي الخامنئي ـ حفظه الله ـ وباقي مسؤوليها, ولم تدخر جهدا في العمل على اقامة هذا الامر الشرعي المهم والدفاع عنه , من خلال توجيهاتها المستمرة في هذا المنحى او دعمها غير المحدود لكل الجهود المخلصة في هذا الميدان .

و اخيرا فان هذا الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم ـ و هو بقلم الباحث القديرالشيخ جعفر السبحاني ـ دعوة للتامل ضمن الحدود التي اشرنا اليها في حديثنا,و هي بالتالي تعكس صورة صادقة عن حجم الهجمة الكافرة التي ارادت تمزيق الامة ودفعها الى التشتت , وبيان ما اخذت من مساحة واسعة في فكر هذه الامة ومعتقداتها.

بلـى لسنا في معرض الدفاع عن الوجود المقدس لهذه الشريعة السماوية فحسب , بل ابتغينا ازاحة اللثام واماطة الخبث عن الدسائس الخبيثة التي تريد بالامة الهلاك .

وقد قامت معاونية شؤون التعليم والبحوث بنشره , حتى يعم نفعه ويتعرف المسلمون على الشيعة عن كثب .

والله تعالى من ورا القصد.

الائمة الاثنا عشر(ع).

بسم الله الرحمن الرحيم .

تعرف الشيعة الامامية بالفرقة الاثني عشرية , ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثني عشر اماما من بني هاشم نص عليهم رسول الله (ص), كما هو معلوم للجميع , ومن ثم نص كل امام على الامام الذي بعده , بشكل يخلو من الشك والابهام .

لـقد تضافر عن رسول الله (ص) انه يملك هذه الامة اثنا عشر خليفة كعدد نقبابني اسرائيل و كما هو معلوم و مبسط في كتب الشيعة بشكل لا يقبل الشك ان هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تـنـطـبـق الا عـلـى ائمة الشيعة والعترة الطاهرة ((واذا كان رسول الله (ص) هو الشجرة وهم اغصانها, والدوحة وهم افنانها, ومنبع العلم وهم عيبته , ومعدن الحكم وهم خزائنه , وشارع الدين وهم حفظته , وصاحب الكتاب وهم حملته)) ((١)) فتلزم علينا معرفتهم , كيف وهم احدالثقلين اللذين تركهما الرسول (ص) , قدوة للامة ونورا على جبين الدهر.

ونـحـن نـحـاول هنـا ان نـعرض في هذا الفصل موجزا عن احوالهم وحياتهم متوخين الاختصار والايجاز في ما نورده , لان بسط الكلام عنهم يحتاج الى تدوين موسوعة كبيرة , وقد قام بذلك لفيف من عـلـمـا الاسلام فاثبتوا الشي الكثير عن حياتهم وسيرتهم واقوالهم , جزاهم الله عن الاسلام واهله خير الجزا.

الامام الاول :

الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع).

ان الامام علي بن ابي طالب اشهر من ان يعرف , و لقد لفيف من السنة الشيعة بتاليف كتب و موسوعات عن حياته , ومناقبه , وفضائله , وجهاده , وعلومه , وخطبه ,وقصار كلماته , وسياسته , وحروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين , فالاولى لناالاكتفاء بالميسور في هذا المجال , واحالة القارئ الى تلك الموسوعات , بيد انانكتفي هنا بذكر اوصافه الواردة في السنة فنقول :

هو امير المؤمنين , و سيد المسلمين , و قائد الغر المحجلين , و سيد الوصيين , و اول القوم ايمانا, و اوفـاهـم بـعدالله , و اعظمهم مزية , واقومهم بامر الله , واعلمهم بالقضية , ورايـة الـهدى , ومنـار الايـمـان , وبـاب الـحـكـمـة , والممسوس في ذات الله ,خليفة النبي (ص), الـهاشمي , وليد الكعبة الـمـشرفة , ومطهرها من كل صنم ووثن ,الشهيد في البيت الالهي (جامع الكوفة) في محرابه حال الصلاة سنة ٤٠ ه.

وكـل جـمـلـة من هذه الجمل , وعبارة من هذه العبارات , كلمة قدسية نبوية اخرجهاالحفاظ من اهل السنة ((٢)) .

الامام علي ومكونات الشخصية :

تعود شخصية كل انسان ـ حسب مايرى علما النفس ـ الى ثلاثة عوامل هامة لكل منها نصيب وافر في تكوين الشخصية واثر عميق في بنا كيانها.

وكـان الـشخصية الانسانية لدى كل انسان اشبه بمثلث يتالف من اتصال هذه الاضلاع الثلاثة بعضها ببعض , وهذه العوامل الثلاثة هي :

١ـ الوراثة .

٢ـ التعليم والثقافة .

٣ـ البيئة والمحيط.

ان كـل مـا يـتصف به المر من صفات حسنة او قبيحة , عالية او وضيعة تنتقل الى الانسان عبر هذه القنوات الثلاث , وتنمو فيه من خلال هذه الطرق .

وان الابنـا لا يـرثـون مـنـا المال والثروة والاوصاف الظاهرية فقط كملامح الوجه ولون العيون وكـيفيات الجسم , بل يرثون كل ما يتمتع به الابا من خصائص روحية وصفات اخلاقية عن طريق الوراثة كذلك .

فالابوان ـ بانفصال جزئي ((الحويمن)) و ((البويضة)) المكونين للطفل منهما ـ انماينقلان ـ في الـحـقيقة ـ صفاتهما ملخصة الى الخلية الاولى المكونة من ذينك الجزاين , تلك الخلية الجنينية التي تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة .

ويـشكل تاثير الثقافة والمحيط, الضلعين الاخرين في مثلث الشخصية الانسانية , فان لهذين الامرين اثـرا مـهما وعميقا في تنمية السجايا الرفيعة المودعة في باطن كل انسان بصورة فطرية جبلية او المتواجدة في كيانه بسبب الوراثة من الابوين .

فان في مقدور كل معلم ان يرسم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقي اليه من تعليمات وتوصيات ومـا يـعطيه من سيرة وسلوك ومن آرا وافكار, فكم من بيئة حولت افرادا صالحين الى فاسدين , او فاسدين الى صالحين .

وان تاثير هذين العاملين المهمين من الوضوح بحيث لايحتاج الى المزيد من البيان والتوضيح على اننا يجب ان لاننسى دور ارادة الانسان نفسه ورا هذه العوامل الثلاثة .

الامام علي (ع) والجانب الموروث في شخصيته

لم يكن الامام علي (ع) كبشر بمستثنى من هذه القاعدة .

فـقـد ورث الامام امير المؤمنين (ع) جانبا كبيرا من شخصيته النفسية والروحية والاخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة , واليك تفصيل ذلك :

١ـ الامام علي (ع) والوراثة من الابوين :

لـقد انحدر الامام علي من صلب والد عظيم الشان , رفيع الشخصية هو ابو طالب ,ولقد كان ابو طالب زعـيم مـكة , وسيد البطحا, ورئيس بني هاشم , وهو الى جانب ذلك ,كان معروفا بالسماحة والبذل والـجـود والـعطاء والعطف والمحبة والفدا والتضحية في سبيل الهدف المقدس , والعقيدة التوحيدية المباركة .

فهو الذي تكفل رسول الله منذ توفي عنه جده و كفيله الاول عبدالمطلب و هوآنذاك في الثامنة من عـمـره , و تـولـى العناية به و القيام بشؤونه , و حفظ و و حراسته في السفر والحضر, باخلاص كـبـير واندفاع وحرص لانظير لهما, بل وبقي يدافع عن رسالة التوحيد, والدين الحق الذي جا به النبي الكريم (ص) ويقوم في سبيل ارسا قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفدا, و يتحمل لتحقيق هذه الاهداف العليا كل تعب ونصب وعنا.

وقـد انـعـكـست هذه الحقيقة وتجلى موقفه هذا في كثير من اشعاره وابياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة مثل قوله :

ليعلم خيار الناس ان محمدا نبي كموسى و المسيح ابن مريم .

الم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى خط في اول الكتب ((٣)) .

ان من المستحيل ان تصدر امثال هذه التضحيات التي كان ابرزها محاصرة بني هاشم جميعا في الشعب ومقاطعتهم القاسية من دافع غير الايمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية , الذي كان يتصف به ابوطالب , اذ لا تستطيع مجردالوشائج العشائرية , وروابط القربى , ان توجد في الانسان مثل هذه الروح التضحوية .

ان الدلائل على ايمان ابي طالب بدين ابن اخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحققين المنصفين والمحايدين , ولكن بعض المتعصبين توقف في ايمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة , بالدعوة المحمدية , بينماتجاوز فريق هذا الحد الى ما هو ابعد من ذلك , حيث قالوا بانه مات غير مؤمن .

ولو صحت عشر هذه الدلائل الدالة على ايمان ابي طالب الثابتة في كتب التاريخ والحديث , في حق رجل آخر لما شك احد في ايمانه فضلا عن اسلامه , ولكن لايعلم الانسان لماذا لاتستطيع كل هذه الادلة اقناع هذه الزمرة , و انارة الحقيقة لهم ؟ هذا عن والد الامام امير المؤمنين (ع).

واما امه فهي فاطمة بنت اسد بن هاشم وهي من السابقات الى الاسلام والايمان برسول الله (ص) وقد كانت قبل ذلك تتبع ملة ابراهيم .

انها المراة الطاهرة التي لجات ـ عند المخاض الى المسجد الحرام , والصقت نفسها بجدار الكعبة واخذت تقول :

((يا رب اني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب , واني مصدقة بكلام جدي ابراهيم وانه بنى البيت العتيق , فبحق الذي بنى هذا البيت و(بحق) المولود الذي في بطني الا ما يسرت علي ولادتي)).

فدخلت فاطمة بنت اسد في الكعبة ووضعت عليا هناك ((٤)) .

وتلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرخين والمحدثين الشيعة , وكذا علما الانساب في مصنفاتهم , كما نقلها ثلة كبيرة من علما السنة وصرحوا بها في كتبهم واعتبروهاحادثة فريدة , وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل ((٥)) .

وقال الحاكم النيشابوري : وقد تواترت الاخبار ان فاطمة بنت اسد ولدت اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة ((٦)) .

وقال شهاب الدين ابو الثناء السيد محمود الالوسي : ((و كون الامير كرم الله وجهه ,ولد في البيت , امر مشهور في الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه , كما اشتهر وضعه)) ((٧)) .

٢ـ الامام علي والتربية في حجر النبي (ص):.

واما التربية الروحية والفكرية والاخلاقية فقد تلقاها علي (ع) في حجر رسول الله (ص) وهي الضلع الثاني من اضلاع شخصيته الثلاثة .

ولو اننا قسمنا مجموعة سنوات عمر الامام (ع) الى خمسة اقسام لوجدنا القسم الاول من هذه الاقسام الخمسة من حياته الشريفة , يشكل السنوات التي قضاها(ع) قبل بعثة النبي الاكرم (ص).

وان هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات , لان اللحظة التي ولد فيهاعلي (ع) لم يكن النبي (ص) قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك , هذا مع العلم بانه (ص) قد بعث بالرسالة في سن الاربعين .

وعلى هذا الاساس لم يكن الامام علي (ع) قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول الله (ص) بالرسالة , وتوج بالنبوة .

ان ابـرز الحوادث في الامام علي (ع) هو تكوين الشخصية العلوية , و تحقق الضلع الثاني من المثلث الذي اسلفناه بواسطة النبي الاكرم و في ظل ما اعطاه (ص)لعلي (ع) من اخلاق و افكار, لان هذا القسم في حياة كل انسان وهذه الفترة من عمره هي من اللحظات الخطيرة , والقيمة جدا, فشخصية الـطـفـل فـي هـذه الـفـترة تشبه صفحة بيضاء نقية تقبل كل لون وهي مستعدة لان ينطبع عليها كل صورة مهما كانت , وهذه الفترة من العمر تعتبر بالتالي خير فرصة لان ينمي المربون والمعلمون فـيـهـا كـلما اودعت يد الخالق في كيان الطفل من سجايا طيبة و صفات كريمة , و فضائل اخلاقية نـبـيلة , و يوقفوا الطفل عن طريق التربية على القيم الاخلاقية و القواعد الانسانية و طريقة الـحـيـاة الـسعيدة , وتحقيقا لهذا الهدف السامي تولى النبي الكريم (ص) بنفسه تربية علي (ع) بعد ولادتـه , وذلك عندما اتت فاطمة بنت اسد بوليدها علي (ع) الى رسول الله (ص) فلقيت من رسول الله حبا شديدا لعلي حتى انه قال لها:

اجـعـلـي مـهـده بـقرب فراشي وكان (ص) يطهر عليا في وقت غسله , ويوجر اللبن عندشربه , ويـحرك مهده عند نومه , ويناغيه في يقظته , ويلاحظه ويقول : هذا اخي ,ووليي وناصري وصفيي وذخري وكهفي , وصهري , ووصيي , و زوج كريمتي ,واميني على وصيتي وخليفتي ((٨)) .

ولـقـد كانت الغاية من هذه العناية هي ان يتم توفير الضلع الثاني في مثلث الشخصية (وهو التربية) بواسطته (ص) , وان لا يكون لاحد غير النبي (ص) دخل في تكوين الشخصية العلوية الكريمة .

وقد ذكر الامام علي (ع) ما اسداه الرسول الكريم اليه وما قام به تجاهه في تلكم الفترة اذ قال :

((وقد علـمـتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة , والمنزلة الخصيصة ,وضعني في حـجره وانا وليد يضمني الى صدره , ويكنفني في فراشه , ويمسني جسده , و يشمني عرفه , وكان يمضغ الشي ثم يلقمنيه)) ((٩)) .

النبي ياخذ عليا الى بيته :.

واذ كـان الله تـعـالى يريد لولي دينه ان ينشا نشاة صالحة وان ياخذ النبي عليا الى بيته وان يقع منذ نعومة اظفاره تحت تربية النبي الاكرم (ص), الفت نظر نبيه الى ذلك .

فقد ذكر المؤرخون انه اصابت مكة ـ ذات سنة ـ ازمة مهلكة و سنة مجدبة منهكة , وكان ابوطالب ـ رضـي الله عنـه ـ ذا مـال يـسير وعيال كثير فاصابه ما اصاب قريشا من العدم والضائقة والجهد والفاقة : فعند ذلك دعا رسول الله عمه العباس الى ان يتكفل كل واحد منهما واحدا من ابنا ابي طالب وكان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس على ذلك :

فاخذ النبي عليا, واخذ العباس جعفرا وتكفل امره , وتولى شؤونه ((١٠)) .

وهكذا و للمرة الاخرى اصبح علي (ع) في حوزة رسول الله (ص) بصورة كاملة ,واستطاع بهذه الـمـرافـقة الكاملة ان يقتطف من ثمار اخلاقه العالية وسجاياه النبيلة , الشي الكثير, وان يصل تحت رعاية النبي وعنايته وبتوجيهه وقيادته ,الى اعلى ذروة من ذرى الكمال الروحي .

وهذا هـوالامـام امير المؤمنين (ع) يشير الى تلك الايام القيمة والى تلك الرعاية النبوية المباركة المستمرة اذ يقول :

((ولـقـد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه , يرفع لي كل يوم من اخلاقه علما ويامرني بالاقتدا به)) ((١١)) .

علي في غار حراء.

كـان الـنبي حتى قبل ان يبعث بالرسالة و النبوة ـ يعتكف و يتعبد في غار حرا شهرامن كل سنة , فـاذا انـقضى الشهر و قضى جواره من حرا انحدر من الجبل , و توجه الى المسجد الحرام راسا و طـاف بالبيت سبعا, ثم عاد الى منزله وهنا يطرح سؤال : وماذا كان شان علي (ع) في تلك الايام التي كـان يتعبد ويعتكف فيهارسول الله

(ص) في ذلك المكان مع ما عرفناه من حب الرسول الاكرم له ؟ هل كان ياخذ (ص) عليا معه الى ذلك المكان العجيب ام كان يتركه ويفارقه ؟.

ان القرائن الكثيرة تدل على ان النبي (ص) منذ ان اخذ عليا لم يفارقه يوما ابدا فهاهم المؤرخون يقولون :

كان علي يرافق النبي دائما ولايفارقه ابدا حتى ان رسول الله (ص) كان اذا خرج الى الصحراء او الجبل اخذ عليا معه ((١٢)) .

يقول ابن ابي الحديد:

وقد ذكر علي (ع) هذا الامر في الخطبة القاصعة اذ قال :

((ولقد كان يجاور في كل سنة بحرا فاراه ولايراه غيري)) ((١٣)) .

ان هذه العبارة وان كانت محتملة في مرافقته للنبي في حراء بعد البعثة الشريفة الا ان القرائن السابقة وكون مجاورة النبي بحرا كانت في الاغلب قبل البعثة , تؤيد ان هذه الجملة , يمكن ان تكون اشارة الى صحبة علي للنبي في حرا قبل البعثة .

ان طهارة النفسية العلوية , و نقاوة الروح التي كان على (ع) يتحلى بها, و التربية المستمرة التي كان يحظى بها في حجر رسول الله (ص), كل ذلك كان سببا في ان يتصف يتصف علي (ع) ومنذ نعومة اظفاره ببصيرة نفاذة وقلب مستنير,واذن سميعة واعية تمكنه من ان يرى اشيا ويسمع امواجا تخفى على الناس العاديين و يتعذر عليهم سماعها ورؤيتها, كما يصرح نفسه بذلك اذ يقول :

((ارى نور الوحي والرسالة , واشم ريح النبوة)) ((١٤)) .

ويقول الامام الصادق (ع):

((كان علي (ع) يرى مع رسول الله (ص) قبل الرسالة , الضوء ويسمع الصوت)).

وقد قال له النبي (ص) :لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكا في النبوة فان لاتكن نبيا فانك وصي نبي ووارثه , بل انت سيد الاوصيا وامام الاتقيا ((١٥)) .

ويقول الامام علي (ع): لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (ص) فقلت :يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان ايس من عبادته , ثم قال له :

((انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير)) ((١٦)) .

هذا هو الرافد الثاني الذي كان يرفد الشخصية العلوية بالاخلاق والسجايا الرفيعة .

٣ـ البيئة الرسالية وشخصية الامام :.

ولو اضفنا ذينك الامرين (اي ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة , وما تلقاه في حجر النبي) الى ما اخذه من بيئة الرسالة والاسلام من افكار وآرا رفيعة , وتاثرعنها ادركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب .

ومن هنا يحظى الامام علي (ع) بمكانة مرموقة لدى الجميع : مسلمين وغيرمسلمين , لما كان يتمتع به من شخصية سامقة , وخصوصيات خاصة يتميز بها.

وهذا هو ما دفع بالبعيد والقريب الى ان يصف عليا بما لم يوصف به احد من البشر,ويخصه بنعوت , حرم منها غيره , فهذا الدكتور شبلي شميل المتوفى ١٣٣٥ وهومن كبار الماديين في القرن الحاضر يقول :

((الامـام علـي بـن ابي طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير لـها الشرق ولا الغرب صورة طبق الاصل لا قديما ولاحديثا)) ((١٧) .

وقال عمر بن الخطاب :

((عقمت النساء ان يلدن مثل علي بن ابي طالب)) ((١٨) .

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحي اللبناني المعروف :

((وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فاعطيت في كل زمن عليا بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره)) ((١٩) .

هذه الابعاد التي المحنا اليها هي الابعاد الطبيعية للشخصية العلوية .

البعد الرابع لشخصية الامام (ع):

غيران ابعاد شخصية الامام علي (ع) لاتنحصر في هذه الابعاد الثلاثة , فان لاولياء الله سبحانه بعدا رابـعا, داخلا في هوية ذاتهم , وحقيقة شخصيتهم وهذا البعد هوالذي ميزهم عن سائر الشخصيات واضفى عليهم بريقا خاصا ولمعانا عظيما.

وهذا البعد هو البعد المعنوي الذي ميز هذه الصفوة عن الناس , وجعلهم نخبة ممتازة وثلة مختارة من بين الناس وهو كونهم رسل الله وانبياه , او خلفاه واوصياانبيائه .

نـرى انـه سبـحانه يامر رسوله ان يصف نفسه بقوله : (قل سبحان ربى هل كنت الابشرارسولا) ((٢٠) .

فـقوله : (بشرا) اشارة الى الابعاد البشرية الموجودة في كل انسان طبيعي , وان كانوايختلفون فيها في ما بينهم كمالا ولمعانا.

وقـولـه : (رسـولا) اشارة الى ذلك البعد المعنوي الذي ميزه (ص) عن الناس وجعله معلما وقدوة للبشر.

فـلاجل ذلك يقف المر في تحديد الشخصيات الالهية على شخصية مركبة من بعدين : طبيعي و الهي ولايـقدر علـى تـوصيفها الا بنفس ما وصفهم الله به سبحانه مثل قوله في شان الرسول الاكرم (ص)):

(الـذيـن يـتـبـعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بـالمعروف وينـهاهم عن المنكر و يحل لـهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغـلال الـتى كانت عليهم) ((٢١) وقدنزلت في حق الامام اميرالمؤمنين (ع) آيات ووردت روايات .

كيف وقال رسو ل الله (ص):

((عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن ابي طالب (ع))) ((٢٢) .

وقال (ص):

((سـره ان يـحيى حياتي ويموت مماتي , ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال عليا بعدي , وليوال وليه , وليقتد بالائمة من بعدي فانهم عترتي خلـقوا من طينتي ,رزقوا فهما وعلما, وويل للمكذبين بفضلهم من امتي , القاطعين فيهم صلتي , لاانالهم الله شفاعتي)) ((٢٣) .

وقال الامام احمد بن حنبل :

ما لاحد من الصحابة من الفضائل بالاسانيد الصحاح مثل ما لعلي (رض) ((٢٤) .

وقال الامام الفخر الرازي :

من اتخذ عليا اماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه ((٢٥)) .

و قال ايضا:

من اقتدى في دينه بعلي بن ابي طالب فقد اهتدى لقول النبي (ص) : اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ((٢٦)) .

تسليط الضوء على شخصيته السامية

لاعتب على اليراع لو وقف عند تحديد شخصية كريمة معنوية خصها الله تعالى بمواهب وفضائل , وكفى في ذلك ما رواه طارق بن شهاب , قال : كنت عندعبدالله بن عباس فجا اناس من ابنا المهاجرين فقالوا له : يا بن عباس اي رجل كان علي بن ابي طالب ؟.

قال : ملئ جوفه حكما وعلما وباسا ونجدة وقرابة من رسول الله (ص) ((٢٧)) .

روى عكرمة عن ابن عباس قال :ما نزل في القرآن : (يا ايها الذين آمنوا) الا وعلي (ع)راسها واميرها, ولقد عاتب الله اصحاب محمد في غير مكان , وما ذكر عليا الابخير ((٢٨)) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما نزل في احد من كتاب الله ما نزل في علي ((٢٩)) .

وقال ابن عباس : نزلت في علي اكثر من ثلاثمائة آية في مدحه ((٣٠)) .

ونكتفي في ترجمة علي (ع) بكلمتين عن تلميذيه اللذين كانا معه سرا وجهرا:

١ ـ قال ابن عباس ـ عندما سئل عن علي فقال : رحمة الله على ابي الحسن كان و الله علم الهدى و كهف التقى و طود النهى و محل الحجى و غيث الندى , و منتهى العلم للورى , و نورا اسفر في الدجى , وداعيا الى المحجة العظمى ومستمسكابالعروة الوثقى , اتقى من تقمص وارتدى , واكرم من شهد النجوى بعد محمدالمصطفى , وصاحب القبلتين , وابو السبطين , وزوجته خير النسا فما يفوقه احد, لم تر عيناي مثله , ولم اسمع بمثله , فعلى من ابغضه لعنة الله ولعنة العباداالى يوم التناد ((٣١)) .

٢ـ ان معاوية سال ضرارا بن حمزة بعد موت علي عنه , فقال : صف لي عليا, فقال : اوتعفيني ؟ قال : صفه , قال : او تعفيني ؟ قال : لا اعفيك , قال : اما اذ لابد فاقول ماعلمه منه :

والله كان بعيد المدى , شديد القوى , يقول فصلا, ويحكم عدلا, يتفجر العلم من جوانبه , وتنطق الحكمة من نواحيه , يستوحش من الدنيا وزهرتها, ويستانس بالليل وظلمته , كان والله غزير الدمعة , طويل الفكرة , يقلب كفيه ويخاطب نفسه ,يعجبه من اللباس ما خشن , ومن الطعام ما جشب .

كان و الله كاحدنا, يجيبنا اذا سالناه ويبتدئنا اذا اتيناه , وياتينا اذا دعوناه , ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة , ولانبتدئه عظمة , ان تبسم فعن مثل اللؤلؤالمنظوم , يعظم اهل الدين , ويحب المساكين , لا يطمع القوي في باطله , ولاييأس الضعيف من عدله .

فاشهد بالله لقد رايته في بعض مواقفه و قد ارخى الليل سدوله , و غارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكا الحزين وكاني اسمعه وهو يقول : يا دنيا ابي تعرضت ؟ ام الي تشوقت ؟ هيهات , هيهات غري غيري قد باينتك ثلاثا لارجعة لي فيك , فعمرك قصير وعيشك حقير, وخطرك كثير, آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

قال : فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكا, فقال معاوية : رحم الله اباالحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقا عبرتها ولايسكن حزنها ((٣٢)) .

هذه شذرات من فضائله , وقبسات من مناقبه الكثيرة التي حفظها التاريخ عن تلاعب الايدي .

غير انه لا يعرف عليا غير خالقه , وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى (ص).

تنصيب علي (ع) للامامة :.

لا شك في ان الدين الاسلامي دين عالمي , وشريعة خاتمة , وقد كانت قيادة الامة الاسلامية من شؤون النبي الاكرم (ص) ما دام على قيد الحياة , وطبع الحال يقتضي ان يوكل مقام القيادة بعده الى افضل افراد الامة واكملهم .

ان في هذه المسالة وهي ان منصب القيادة بعد النبي (ص) هل هو منصب تنصيصي تعييني او انه منصب انتخابي ؟ اتجاهين :

فالشيعة ترى ان مقام القيادة منصب تنصيصي , ولابد ان ينص على خليفة النبي من السما, بينما يرى اهل السنة ان هذا المنصب انتخابي جمهوري , اي ان على الامة ان تقوم بعد النبي باختيار فرد من افرادها لادارة البلاد.

ان لكل من الاتجاهين المذكورين دلائل , ذكرها اصحابهما في الكتب العقائدية , الاان ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسالة في ضؤ دراسة وتقييم الظروف السائدة في عصر الرسالة , فان هذه الدراسة كفيلة باثبات صحة احد الاتجاهين .

ان تقييم الاوضاع السياسية داخل المنطقة الاسلامية و خارجها في عصر الرسالة يقضي بان خليفة النبي (ص) لابد ان يعين من جانب الله تعالى , ولا يصح ان يوكل هذا الى الامة , فان المجتمع الاسلامي كان مهددا على الدوام بالخطرالثلاثي (الروم ـ الفرس ـ المنافقين) بشن الهجوم الكاسح , والقا بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين .

كما ان مصالح الامة كانت توجب ان يوحد صفوف المسلمين في مواجهة الخطرالخارجي , وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده , وبذلك يسد الطريق على نفوذالعدو في جسم الامة الاسلامية والسيطرة عليها, وعلى مصيرها.

واليك بيان وتوضيح هذا المطلب :

لقد كانت الامبراطورية الرومانية احد اضلاع الخطر المثلث الذي يحيط بالكيان الاسلامي , ويهدده من الخارج والداخل .

وكانت هذه القوة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية , وكانت تشغل بال النبي القائد على الدوام , حتى ان التفكير في امر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظة الوفاة , والالتحاق بالرفيق الاعلى .

وكانت اول مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة في ارض فلسطين , وقد ادت هذه المواجهة الى استشهادالقادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم ((جعفر الطيار)) و ((زيد بن حارثة)) و ((عبد الله بن حارثة)).

ولقد تسبب انسحاب الجيش الاسلامي بعد استشهاد القادة المذكورين الى تزايدجراة الجيش القيصري المسيحي , فكان يخشى بصورة متزايدة ان تتعرض عاصمة الاسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش .

من هنا خرج رسول الله (ص) في السنة التاسعة للهجرة على راس جيش كبير جداالى حدود الشام ليقود بنفسه اية مواجهة عسكرية , وقد استطاع الجيش في هذاالرحلة الصعبة المضنية ان يستعيد هيبته الغابرة , ويجدد حياته السياسية :

غير ان هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله (ص) , فاعد قبيل مرضه جيشا كبيرامن المسلمين , وامر عليهم ((اسامة بن زيد)), وكلفهم بالتوجه الى حدود الشام ,والحضور في تلك الجبهة .

اما الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يهدد الكيان الاسلامي فكان الامبراطورية الايرانية (الفارسية) و قد بلغ من غضب هذه الامبراطورية على رسول الله (ص) ومعاداتها لدعوته , ان اقدم امبراطور ايران ((خسرو برويز)) على تمزيق رسالة النبي (ص), وتوجيه الاهانة الى سفيره باخراجه من بلاطه , والكتابة الى واليه وعميله باليمن بان يوجه الى المدينة من يقبض على رسول الله (ص),او يقتله ان امتنع .

و ((خسرو)) هذا و ان قتل في زمن رسول الله (ص) الا ان استقلال اليمن ـ التي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الايرانية ردحا طويلا من الزمان ـ لم يغب عن نظرملوك ايران آنذاك , وكان غرور اولئك الملوك وتجبرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمل منافسة القوة الجديدة (القوة الاسلامية) لهم .

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس على تقويض دعائم الكيان الاسلامي من الداخل الى درجة انهم قصدوا اغتيال رسول الله (ص) , في طريق العودة من تبوك الى المدينة .

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه : ان الحركة الاسلامية سينتهي امرها بموت رسول الله (ص) ورحيله , وبذلك يستريح الجميع ((٣٣)) .

ولقد قام ابوسفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة الى الامة الاسلامية من الداخل وذلك عندما اتى عليا (ع) وعرض عليه ان يبايعه ضدمن عينه رجال السقيفة , ليستطيع بذلك تشطير الامة الاسلامية الواحدة الى شطرين متحاربين متقاتلين , فيتمكن من التصيد في الما العكر.

ولكن الامام عليا (ع) ادرك بذكائه البالغ نوايا ابي سفيان الخبيثة , فرفض مطلبه وقال له كاشفا عن دوافعه ونواياه الشريرة :

((والله ما اردت بهذا الا الفتنة , وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك)) ((٣٤)) .

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدة بحيث تعرض القرآن لذكرهم في سورعديدة هي : سورة آل عمران , والنسا, والمائدة , والانفال , والتوبة , والعنكبوت ,والاحزاب , ومحمد, والفتح , والمجادلة , والحديد, والمنافقين , والحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلا الاعدا الالدا والاقويا الذين كانوا يتربصون بالاسلام الدوائر, ويتحينون الفرص للقضا عليه , يصح ان يترك رسول الله (ص) امته الحديثة العهد بالاسلام , الجديدة التاسيس من دون ان يعين لهم قائدا دينياسياسيا؟.

ان المحاسبات الاجتماعية تقول : انه كان من الواجب ان يمنع رسول الاسلام بتعيين قائد للامة , من ظهور اي اختلاف وانشقاق فيها من بعده , وان يضمن استمراروبقا الوحدة الاسلامية بايجاد حصن قوي وسياج دفاعي متين حول تلك الامة .

ان تحصين الامة , وصيانتها من الحوادث المشؤومة , والحيلولة دون مطالبة كل فريق ((الزعامة)) لنفسه دون غيره , وبالتالي التنازع على مسالة الخلافة والزعامة , لم يكن ليتحقق , الا بتعيين قائد للامة , وعدم ترك الامور للاقدار.

ان هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا الى صحة نظرية ((التنصيص على القائد بعدرسول الله (ص))) و لعل لهذه الجهة و لجهات اخرى طرح رسول الاسلام مسالة الخلافة في الايام الاولى من ميلاد الرسالة الاسلامية , وظل يواصل طرحهاوالتذكير بها طوال حياته حتى الساعات الاخيرة منها, حيث عين خليفته ونص عليه بالنص القاطع الواضح الصريح في بد دعوته , وفي نهايتها ايضا.

واليك بيان كلا هذين المقامين :

١ـ النبوة والامامة توامان :

بغض النظر عن الادلة العقلية و الفلسفية التي تثبت صحة الراي الاول بصورة قطعية ,هناك اخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحة الموقف والراي الذي ذهب اليه علما الشيعة وتصدقه , فقد نص النبي (ص) على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مرارا وتكرارا, واخرج موضوع الامامة من مجال الانتخاب الشعبي والراي العام .

فهو لم يعين (و لم ينص على) خليفته و وصيه من بعده في اخريات حياته فحسب ,بل بادر الى التعريف بخليفته و وصيه في بد الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعد سوى بضع عشرة من الاشخاص , وذلك يوم امر من جانب الله العلي القدير ان ينذر عشيرته الاقربين من العذاب الالهي الاليم وان يدعوهم الى عقيدة التوحيد قبل ان يصدع رسالته للجميع ويبدا دعوته العامة للناس كافة .

فجمع اربعين رجلا من زعما بني هاشم وبني المطلب , ثم وقف فيهم خطيبا فقال :

((ايكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟)).

فاحجم القوم , وقام علي (ع) واعلن مؤازرته وتاييده له , فاخذ رسول الله (ص)برقبته , والتفت الى الحاضرين , وقال :

((ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم)) ((٣٥)) .

وقد عرف هذا الحديث عند المفسرين والمحدثين : ب ((حديث يوم الدار)) و ((حديث بد الدعوة)).

على ان رسول الله (ص) لم يكتف بالنص على خليفته في بد رسالته , بل صرح في مناسبات شتى في السفر والحضر , بخلافة علي (ع) من بعده , ولكن لا يبلغ شي من ذلك في الاهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

٢ـ قصة الغدير:

لما انتهت مراسيم الحج , و تعلم المسلمون مناسك الحج من رسول الله (ص) قرررسول الله (ص) الرحيل عن مكة , والعودة الى المدينة , فاصدر امرا بذلك , ولمابلغ موكب الحجيج العظيم الى منطقة ((رابغ)) ((٣٦)) التي تبعد عن ((الجحفة)) ((٣٧)) بثلاثة اميال , نزل امين الوحي جبرئيل على رسول الله (ص) بمنطقة تدعى ((غديرخم)), وخاطبه بالاية التالية :

(يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) ((٣٨)) .

ان لسان الاية وظاهرها يكشف عن ان الله تعالى القى على عاتق النبي (ص) مسؤولية القيام بمهمة خطيرة , واي امر اكثر خطورة من ان ينصب عليا (ع) لمقام الخلافة من بعده على مراى ومسمع من مائة الف شاهد؟ من هنا اصدر رسول الله (ص) امره بالتوقف , فتوقف طلائع ذلك الموكب العظيم ,والتحق بهم من تاخر.

لـقد كان الوقت وقت الظهيرة , و كان المناخ حارا الى درجة كبيرة جدا, و كان الشخص يضع قسما من عباته فوق راسه و القسم الاخر منها تحت قدميه , وصنع للنبي (ص) مظلة وكانت عبارة عن عباة الـقيت على اغصان شجرة (سمرة), وصلى رسول الله (ص) بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الـنـاس قـد احاطوا به صعد(ص) على منبر اعد من احداج الابل واقتابها, وخطب في الناس رافعا صوته ,وهو يقول :

((الـحـمـد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه , ونعوذ به من شرور انفسنا, ومن سيئات اعمالنا الذي لا هادي لمن اضل , ولا مضل لمن هدى , واشهد ان لا اله الا هو,وان محمدا عبده ورسوله .

اما بعد: ايها الناس اني اوشك ان ادعى فاجيب , واني مسؤول وانتم مسؤولون , فماذاانتم قائلون ؟)).

قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت , فجزاك الله خيرا.

قـال (ص) : ((الـسـتم تشهدون ان لا اله الا الله , وان محمدا عبده ورسوله , وان جنته حق , وان الساعة آتية لا ريب فيها, وان الله يبعث من في القبور؟)).

قالوا: بلى نشهد بذلك .

قال (ص) : ((اللهم اشهد)).

ثم قال (ص) : ((واني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا)).

فناد مناد: بابي انت وامي يا رسول الله وما الثقلان ؟.

قال (ص) : ((كتاب الله سبب طرف بيد الله , وطرف بايديكم , فتمسكوا به , والاخرعترتي , وان الـلطيف الخبير نباني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض , فلاتقدموهما فتهلكوا, ولا تقصروا عنهما فتهلكوا)).

وهنا اخذ بيد ((علي (ع))) ورفعها, حتى رؤي بياض اباطهما, وعرفه الناس اجمعون ثم قال :

((ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم ؟)).

قالوا: الله ورسوله اعلم .

فقال (ص) :

((ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين وانا اولى بهم من انفسهم , فمن كنت مولاه فعلي مولاه ((٣٩)) .

اللهم وال من والاه , وعاد من عاداه , وانصر من نصره , واخذل من خذله , واحب من احبه , وابغض من بغضه , وادر الحق معه حيث دار)) ((٤٠)) .

فـلـما نزل من المنبر, استجاز حسان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في ان يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر, فاجازه الرسول , فقام وانشد:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم و اكرم بالنبي مناديا.

يقول فمن مولاكم و وليكم فقالوا و لم يبدوا هناك التعاميا.

الهك مولانا و انت ولينا و لم تر منا في الولاية عاصيا.

فقال له قم يا علي فانني رضيتك من بعدي اماما و هاديا.

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له انصار صدق مواليا.

هناك دعا: اللهم

مصادر الواقعة :

هذه هي واقعة الغدير استعرضناها لك على وجه الاجمال , و هي بحق واقعة لايسوغ لاحد انكارها بادنى مراتب التشكيك و القدح , فقد تناولها بالذكر ائمة المؤرخين امثال : البلاذري , و ابن قتيبه , و الطبري و الخطيب البغدادي , و ابن عبدالبر, وابن عساكر, وياقوت الحموي , وابن الاثير, وابن ابي الحديد, وابن خلكان , واليافعي , وابن كثير, وابن خلدون , والذهبي , وابن حجر العسقلاني ,وابن الصباغ المالكي , والمقريزي , وجلال الدين السيوطي , ونور الدين الحلبي الى غير ذلك من المؤرخين الذين جادت بهم القرون والاجيال .

كما ذكره ايضا ائمة الحديث امثال : الامام الشافعي , و احمد بن حنبل , و ابن ماجة , والترمذي و النسائي و ابو يعلى الموصلي , و البغوي و الطحاوي , و الحاكم النيسابوري , وابن المغازلي , والخطيب الخوارزمي , والكنجي , ومحب الدين الطبري , والحموييني , والهيثمي , والجزري , والقسطلاني , والمتقي الهندي , وتاج الدين المناوي , وابو عبد الله الزرقاني , وابن حمزة الدمشقي الى غير ذلك من اعلام المحدثين الذين يقصر المقال عن عدهم وحصرهم .

كما تعرض له كبار المفسرين , فقد ذكره : الطبري , والثعلبي , والواحدي في اسباب النزول , والقرطبي , وابو السعود, والفخر الرازي , وابن كثير الشامي , والنيسابوري ,وجلال الدين السيوطي , والالوسي , والبغدادي .

وذكره من المتكلمين طائفة جمة في خاتمة مباحث الامامة و ان ناقشوا نقضا و ابرامافي دلالته كالقاضي ابي بكر البلاقلاني في تهميده , و القاضي عبد الرحمن الايجي في مواقفه , والسيد الشريف الجرجاني في شرحه , وشمس الدين الاصفهاني في مطالع الانوار, والتفتازاني في شرح المقاصد, والقوشجي في شرح التجريد الى غير ذلك من المتكلمين الذين تعرضوا لحديث الغدير وبحثواحول دلالته ووجه الحجة فيه .

واقعة الغدير ورمز الخلود:.

اراد المولى عز وجل ان يبقى حديث الغدير غضا طريا على مر الاجيال لم يكدرصفا حقيقته الناصعة تطاول الاحقاب , وكر الازمان , وانصرام الاعوام , ويرجع ذلك الى امور ثلاثة :

١ـ ان النبي (ص) قد هتف به في مزدحم غفير يربو على عشرات الالاف عندمنصرفه من الحج الاكبر, فنهض بالدعوة والاعلان , وحوله جموع من وجوه الصحابة واعيان الامة , وامر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافة على علم وخبربما تم ابلاغه .

٢ـ ان الله سبحانه قد انزل في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ الى الواقعة عندمايتلوها واليك الايات :

ا ـ (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) ((٤١)) .

وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير لفيف من المفسرين يربو عددهم على الثلاثين , وقدذكر العلامة البحاثة المحقق الاميني في كتاب ((الغدير)) نصوص عبارات هؤلا,فمن اراد الاطلاع عليها, فليرجع اليه .

ب ـ (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) ((٤٢)) .

وقد نقل نزول الاية جماعة منهم يزيدون على ستة عشر.

ج ـ (سال سائل بعذاب واقع # للكافرين ليس له دافع # من الله ذي المعارج) ((٤٣)) .

وقد ذكر ايضا نزول هذه الاية جماعة من المفسرين ينوف على الثلاثين , اضف الى ذلك ان الشيعة عن بكرة ابيهم متفقون على نزول هذه الايات الثلاث في شان هذه الواقعة ((٤٤)) .

٣ـ ان الحديث منذ صدوره من منبع الوحي , تسابقت الشعرا و الادبا على نظمه , وانشاده في ابيات و قصائد امتدت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النص في تلك المناسبة الى عصرنا هذا , وبمختلف اللغات والثقافات , وقد تمكن البحاثة المتضلع العلامة الاميني من استقصا وجمع كل ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة , والمؤمل والمنتظر من كافة المحققين على اختلاف السنتهم ولغاتهم استنهاض هممهم لجمع ما نظم وانشد في ادبهم الخاص .

وحصيلة الكلام : قلما نجد حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامة , و في التاريخ الاسلامي والامة الاسلامية خاصة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير, وقلماستقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدثين والمفسرين والكلاميين والفلاسفة والادبا والكتاب والخطبا وارباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة , وقلما اعتنوا بشي مثلما اعتنوا بها.

هذا ويستفاد من مراجعة التاريخ ان يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام كان معروفا بين المسلمين بيوم عيد الغدير, وكانت هذه التسمية تحظى بشهرة كبيرة الى درجة ان ابن خلكان يقول حول ((المستعلى ابن المستنصر)):

((فبويع في يوم غدير خم , وهو الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٨٧ ه)) ((٤٥)) .

وقال في ترجمة المستنصر بالله , العباسي : ((وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين واربعمائة , قلت : وهذه هي ليلة عيدالغدير اعني ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجة , وهو غدير خم)) ((٤٦)) .

وقد عده ابو ريحان البيروني في كتابه الاثار الباقية ((مما استعمله اهل الاسلام من الاعياد)) ((٤٧)) .

وليس ابن خلكان , وابو ريحان البيروني , هما الوحيدان اللذان صرحا بكون هذا اليوم هو عيد من الاعياد, بل هذا الثعالبي قد اعتبر هو الاخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين)) ((٤٨)) .

ان عهد هذا العيد الاسلامي , وجذوره ترجع الى نفس يوم ((الغدير)) لان النبي (ص)امر المهاجرين والانصار, بل امر زوجاته ونساه في ذلك اليوم بالدخول على علي (ع) وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى .

يقول زيد بن ارقم : كان اول من صافح النبي (ص) وعليا: ابوبكر, وعمر, وعثمان ,وطلحة , والزبير, وباقي المهاجرين والانصار, وباقي الناس ((٤٩)) .

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية علي بن ابي طالب (ع).

بعض خصائصه :

يطيب لي ان اشير الى بعض خصائصه قياما ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الاسلام والمسلمين عامة , فنقول : ان له خصائص لم يشترك فيها احد:

١ـ ولادته في جوف الكعبة .

٢ـ احتضان النبي الاكرم (ص) له منذ صغره .

٣ـ سبقه الجميع في الاسلام .

٤ـ مؤاخاة النبي (ص) له من دون باقي الصحابة .

٥ـ حمله من قبل النبي (ص) على كتفه لطرح الاصنام الموضوعة في الكعبة .

٦ـ استمرار ذرية رسول الله (ص) من صلبه .

٧ـ بصاق النبي (ص) في عينيه يوم خيبر, ودعاؤه له بان لا يصيبه حر ولا قر.

٨ـ ان حبه ايمان وبغضه نفاق .

٩ـ ان النبي (ص) باهل النصارى به وبزوجته واولاده دون سائر الاصحاب .

١٠ـ تبليغه سورة براة عن النبي (ص).

١١ـ ان النبي (ص) خصه يوم الغدير بالولاية .

١٢ـ انه القائل : ((سلوني قبل ان تفقدوني)).

١٣ـ ان النبي (ص) خصه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه .

١٤ـ ان الناس جميعا من ارباب الاديان , و غيرهم ينظرون اليه كاعظم رجل عرفه التاريخ ((٥٠)) .

الامام الثانى :

ابو محمد الحسن بن على (ع) المجتبى

هو ثاني ائمة اهل البيت الطاهر , واول السبطين , واحد سيدي شباب اهل الجنة ,وريحانة رسول الله (ص), واحد الخمسة من اصحاب الكسا, امه فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نسا العالمين .

ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث او اثنتين من الهجرة , وهواول اولاد علي وفاطمة (ع).

نسب كان عليه من شمس الضحى نور و من فلق الصباح عمودا.

و روى عن انس بن مالك قال : لم يكن احد اشبه برسول الله (ص) من الحسن بن علي (ع) ((٥١)) .

فلما ولد الحسن قالت فاطمة لعلي : سمه , فقال : ((ما كنت لاسبق باسمه رسول الله (ص))), فجا النبي (ص) فاخرج اليه فقال : ((اللهم اني اعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم واذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى .

اشهر القابه : التقي والزكي والسبط.

اما علمه : فيكفي انه كان يجلس في مسجد رسول الله (ص) و يجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائل و يقطع حجج المجادلين من ذلك ما رواه الامام ابو الحسن علي بن احمد الواحدي في تفسير الوسيط: ان رجلا دخل الى مسجدالمدينة فوجد شخصا يحدث عن رسول الله (ص) والناس حوله مجتمعون فجااليه الرجل , قال : اخبرني عن (شاهد ومشهود)؟ فقال : نعم , اما الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة .

فتجاوزه الى آخر غيره يحدث في المسجد, فساله عن (شاهد و مشهود) قال : اماالشاهد فيوم الجمعة , واما المشهود يوم النحر.

قال : فتجاوزه الى ثالث , غلام كان وجهه الدينار, و هو يحدث في المسجد, فساله عن شاهد و مشهود, فقال : ((نعم , اما الشاهد فرسول الله (ص) واما المشهود فيوم القيامة , اما سمعته عزوجل يقول : (يا ايها

النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشراونذيرا) ((٥٢)) , وقال تعالى : (ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود))) ((٥٣)) .

فسال عن الاول , فقالوا: ابن عباس , وسال عن الثاني , فقالوا: ابن عمر, وسال عن الثالث , فقالوا: الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) ((٥٤)) .

واما زهده : فيكفي في ذلك ما نقله الحافظ ابو نعيم في حليته بسنده انه (ع) قال : ((اني لاستحي من ربي ان القاه ولم امش الى بيته)) فمشى عشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه .

و روي عن الحافظ ابي نعيم في حليته ايضا: انه (ع) خرج من ماله مرتين , وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ماله وتصدق به .

وكان (ع) من ازهد الناس في الدنيا ولذاتها, عارفا بغرورها وآفاتها, وكثيرا ما كان (ع)يتمثل بهذا البيت شعرا:

يا اهل لذات دنيا لا بقا لها ان اغترارا بظل زائل حمق ((٥٥)) .

واما حمله : فقد روى ابن خلكان عن ابن عائشة : ان رجلا من اهل الشام قال : دخلت المدينة ـ على ساكنها افضل الصلاة و السلام فرايت رجلا راكبا على بغلة لم اراحسن وجها و لا سمتا و لا ثوبا و لا دابة منه , فمال قلبي اليه فسالت عنه فقيل :هذا الحسن بن علي بن ابي طالب , فامتلا قلبي له بغضا وحسدت عليا ان يكون له ابن مثله , فصرت اليه وقلت له : انت ابن علي ابن ابي طالب ؟ قال : ((انا ابنه)),قلت : فعل بك وبابيك , اسبهما, فلما انقضى كلامي قال لي : ((احسبك غريبا))؟قلت : اجل , قال : ((مل بنا فان احتجت الى منزل انزلناك او الى مال آتيناك او الى حاجة عاوناك)) قال : فانصرفت عنه وما على الارض احب الي منه , وما فكرت فيما صنع وصنعت الا شكرته وخزيت نفسي (١).

واما امامته : فيكفي في ذلك ما صرح به النبي (ص) من قوله : ((هذان ابناي امامان قاماو قعدا)).

وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال : شهدت امير المؤمنين (ع)حين اوصى الى ابنه الحسين (ع) و اشهد على وصيته الحسين (ع) و محمدا وجميع ولده و رؤسا شيعته و اهل بيته , ثم دفع اليه الكتاب والسلاح وقال له : ((يابني انه امرني رسول الله (ص) ان اوصي اليك , وادفع اليك كتبي وسلاحي , كماوصى الي ودفع الي كتبه وسلاحه , وامرني ان آمرك اذا حضرك الموت ان تدفعهاالى اخيك الحسين , ثم اقبل على ابنه الحسين (ع) فقال : وامرك رسول الله (ص)ان تدفعها الى ابنك هذا, ثم اخذ بيد علي بن الحسين وقال : وامرك رسول الله ان تدفعها الى ابنك محمد بن علي فاقراه من رسول الله ومني السلام)) ((٥٦)) .

روى ابوالفرج الاصفهاني : انه خطب الحسن بن علي بعد وفاة اميرالمؤمنين علي (ع)و قال : ((قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون بعمل , و لا يدركه الاخرون بعمل , و لقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فيقيه بنفسه , ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره , فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ,ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم , ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى , وما خلف صفرا ولا بيضا الا سبعمائة درهم بقية من عطائه اراد ان يبتاع بها خادما لاهله)).

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثم قال : ((ايها الناس من عرفني فقد عرفني , و من لم يعرفني فانا الحسن بن محمد(ص) انا ابن البشير, انا ابن النذير, انا ابن الداعي الى الله عزوجل باذنه , وانا ابن السراج المنير, وانا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا, والذين افترض الله مودتهم في كتابه اذ يقول : (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسن) ((٥٧)) فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت)).

قال ابو مخنف عن رجاله : ثم قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس الى بيعته فاستجابواله وقالوا: ما احبه الينا واحقه بالخلافة , فبايعوه ((٥٨)) .

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة , فرتب العمال وامر الامرا, وانفذ عبد الله ابن العباس الى البصرة ,ونظر في الامور (٣) ((٥٩)) .

وقال ابو الفرج الاصفهاني : وكان اول شي احدثه الحسن انه زاد في المقاتلة مائة مائة , وقد كان علي فعل ذلك يوم الجمل , وهو فعله يوم الاستخلاف , فتبعه الخلفا بعد ذلك ((٦٠)) .

قال المفيد: فلما بلغ معاوية وفاة اميرالمؤمنين و بيعة الناس ابنه الحسن , دس رجلامن حمير الى الكوفة , ورجلا من بني القين الى البصرة ليكتبا اليه بالاخبار ويفسداعلى الحسن الامور, فعرف ذلك الحسن فامر باستخراج الحميري من عند لحام في الكوفة فاخرج وامر بضرب عنقه وكتب الى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فاخرج و ضربت عنقه ((٦١)) .

ثم انه استمرت المراسلات ((٦٢)) بين الحسن معاوية وانجرت الى حوادث مريرة الى ان ادت الى الصلح واضطر الى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية , فعقداصلحا واليك صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن ابي طالب معاوية بن ابي سفيان , صالحه على ان يسلم اليه ولاية المسلمين على ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله ,وليس لمعاوية ان يعهد الى احد من بعده عهدا, على ان الناس آمنون حيث كانوامن ارض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم .

و على ان اصحاب علي وشيعته آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم حيث كانوا, وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه .

وعلى ان لا يبغي للحسن بن علي ولا لاخيه الحسين ولا لاحد من اهل بيت رسول الله (ص) غائلة سوء سرا وجهرا, ولا يخيف احدا في افق من الافاق شهد عليه بذلك فلان وفلان , وكفى بالله شهيدا ((٦٣)) .

ولما تم الصلح صعد معاوية المنبر و قال في خطبته : اني و الله ما ما قاتلتكم لتصلواولا لتصوموا, ولا لتحجوا ولا لتزكوا, انكم لتفعلون ذلك , ولكني قاتلتكم لاتامرعليكم , وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون الا واني كنت منيت الحسن واعطيته اشيا وجميعها تحت قدمي هاتين لا افي بشي منها له ((٦٤)) .

شهادته : لما نقض معاوية عهده مع الامام الحسن (ع) وما كان ذلك بغريب على رجل ابوه ابو سفيان وامه هند, وهو طليق ابن طلقا ـ عمد الى اخذ البيعة ليزيد ولده ـالمشهور بمجونه وتهتكه وزندقته ـ وما كان شي اثقل عليه من امر الحسن بن علي (ع) , فدس اليه السم , فمات بسببه .

فقد روي : ان معاوية ارسل الى ابنة الاشعث ـ وكانت تحت الحسن (ع) : اني مزوجك بيزيد ابني على ان تسمي الحسن بن علي .

وبعث اليها بمائة الف درهم , فقبلت وسمت الحسن , فسوغها المال ولم يزوجها منه ((٦٥)) .

فلما دنى موته اوصى لاخيه الحسين (ع) وقال : ((اذا قضيت نحبي غسلني وكفني واحملني على سريري الى قبر جدي رسول الله (ص) ثم ردني الى قبر جدتي فاطمة بنت اسد فادفني هناك , وبالله اقسم عليك ان تهريق في امري محجمة دم .

فلما حملوه الى روضة رسول الله (ص) لم يشك مروان و من معه من بني امية انهم سيدفنونه عند جده رسول الله (ص) فتجمعوا له و لبسوا السلاح , و لحقتهم عائشة على بغل و هي تقول : مالي و لكم تريدون ان تدخلوا بيتي من لا احب عثمان في اقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني امية ولاجل وصية الحسن مضوا به الى البقيع ودفنوه عند جدته فاطمة بنت اسد ((٦٦)) .

وتوفي الحسن وله من العمر ٤٧ عاما وكانت سنة وفاته سنة ٥٠ من الهجرة النبوية والعجيب ان مروان بن الحكم حمل سريره الى البقيع فقال له الحسين : ((اتحمل سريره تجرعه الغيظ)) فقال مروان : اني كنت افعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال ((٦٧)) .

ولما بلغ معاوية موت الحسن (ع) سجد و سجد من حوله وكبر وكبروا معه , ذكره الزمخشري في ربيع الابرار وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهما.

فقال بعض الشعرا:

اصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة ا مات الحسن .

يا ابن هند ان تذق كاس الردى تك في الدهر كشي لم يكن .

لست بالباقي فلا تسمت به كل حي للمنايا مرتهن ((٦٨)) .

هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة وتركنا الكثير مما يرجع الى جوانب حياته , خصوصا ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار, ومن اراد التفصيل فليرجع الى تحف العقول ((٦٩)) فقد ذكر قسما كبيرا من كلماته.

الامام الثالث :

الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) سيد الشهدا

هو ثالث ائمة اهل البيت الطاهر, وثاني السبطين , وسيدي شباب اهل الجنة ,وريحانتي المصطفى (ص), واحد الخمسة اصحاب الكسا, وسيد الشهدا,وامه فاطمة بنت رسول الله (ص).

ولد في المدينة المنورة في الثالث من شعبان سنة ثلاث او اربع من الهجرة , و لما ولدجيئ به الى رسول الله (ص) فاستبشر به , واذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى ,فلما كان اليوم السابع سماه حسينا, وعق عنه بكبش , وامر امه ان تحلق راسه وتتصدق بوزن شعره فضة , كما فعلت باخيه الحسن , فامتثلت (ع) ما امرها به .

ولقد استشهد بوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة , وقيل يوم السبت , وكان قد ادرك من حياة النبي الاكرم (ص) خمس او ست سنوات ,وعاش مع ابيه ٣٦ سنة , ومع اخيه ٤٦ سنة .

ان حياة الامام الحسين من ولادته الى شهادته حافلة بالاحداث , و الاشارة ـ فضلاعن الاحاطة ـ الى كل ما يرجع اليه يحتاج الى تاليف مفرد, و قد اغنانا في ذلك ماكتبه المؤلفون و الباحثون عن جوانب من حياته (ع), حيث تحدثوا في مؤلفاتهم المختلفة عن النصوص الواردة من جده وابيه في حقه , وعن علمه و مناظراته , وخطبه وكتبه وقصار كلمه , وفصاحته وبلاغته , ومكارم اخلاقه وكرمه وجوده ,وزهده وعبادته , ورافته بالفقرا والمساكين , وعن اصحابه والرواة عنه , والجيل الذي تربى على يديه وذلك في مؤلفات قيمة لا تعد ولاتحصى .

غير ان الحسين (ع) ورا ذلك , خصيصة اخرى و هي كفاحه و جهاده الرسالي والسياسي الذي عرف به , و الذي اصبح مدرسة سياسية دينية , لعلها اصبحت الطابع المميز له (ع) والصبغة التي اصطبغت حياته الشريفة بها, واسوة وقدوة مدى اجيال وقرون , ولم يزل منهجه يؤثر في ضمير الامة ووعيها, ويحرك العقول المتفتحة , والقلوب المستنيرة الى التحرك والثورة ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدة .

وها نحن نقدم اليك نموذجا من غرر كلماته في ذلك المجال حتى تقف على كفاحه وجهاده امام التيارات الالحادية والانهيار الخلقي .

اباؤه للضيم ومعاندة الجور:

لما توفي اخوه الحسن في العام الخمسين من الهجرة اوصى اليه بالامامة فاجتمعت الشيعة حوله , يرجعون اليه في حلهم و ترحالهم , و كان لمعاوية عيون في المدينة يكتبون اليه ما يكون من الاحداث المهمة التي لا توافق هوى السلطة الاموية المنحرفة , والتي قد تشكل خطرا جديا على وجودها غير المشروع , ولقد كان هم هذه السلطة هو الامام الحسين (ع) لما يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن في الحق , ومن هنا فقد كتب مروان بن الحكم ـ وكان عامل معاوية على المدينة ـ: ان رجالا من اهل العراق ووجوه اهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي وانه لا يامن وثوبه , ولقد بحثت عن ذلك فبلغني انه لا يريد الخلاف يومه هذا, ولست آمن ان يكون هذا ايضا لما بعده .

ولمابلغ الكتاب معاوية كتب رسالة الى الحسين وهذا نصها: اما بعد: فقد انتهت الي امور عنك ان كانت حقا فاني ارغب بك عنها, ولعمر الله ان من اعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفا, وان احق الناس بالوفا من كان في خطرك وشرفك ومنزلتك التي انزلك الله لها ((٧٠)) .

ولما وصل الكتاب الى الحسين بن علي , كتب اليه رسالة مفصلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده , نقتبس منها ما يلي :

((الست قاتل حجر بن عدي اخا كندة و اصحابه المصلين , العابدين , الذين ينكرون الظلم , ويستفظعون البدع , ويامرون بالمعروف , وينهون عن المنكر, ولا يخافون في الله لومة لائم , ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما اعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة , ولا تاخذهم بحدث كان بينك وبينهم , جراة على الله واستخفافا بعهده .

اولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله , العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه , فقتلته بعد ما امنته واعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال .

اولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت انه ابن ابيك , وقد قال رسول الله (ص): الولد للفراش وللعاهر الحجر, فتركت سنة رسول الله (ص) تعمدا وتبعت هواك بغير هدى من الله , ثم سلطته على اهل الاسلام يقتلهم , ويقطع ايديهم وارجلهم , ويسمل اعينهم , ويصلبهم على جذوع النخل ,كانك لست من هذه الامة وليسوا منك .

اولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم على دين علي صلوات الله عليه ـ فكتبت اليه : ان اقتل كل من كان على دين علي , فقتلهم ومثل بهم بامرك , ودين علي هو دين ابن عمه (ص) الذي كان يضرب عليه اباك ويضربك , وبه جلست مجلسك الذي انت فيه , ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتا والصيف)) ((٧١)) .

هذا هو الحسين , وهذا هو اباؤه للضيم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين في عصر معاوية وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التي ضبطها التاريخ .

رفضه البيعة ليزيد:

لما هلك معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ هجرية كتب يزيد الى الوليد بن عتبة والي المدينة ان ياخذ الحسين (ع) بالبيعة له , فانفذ الوليد الى الحسين (ع)فاستدعاه , فعرف الحسين ما اراد, فدعا جماعة من مواليه و امرهم بحمل السلاح و قال : ((اجلسوا على الباب)) فاذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه و لاتخافوا علي)).

و صار (ع) الى الوليد فنعى الوليد اليه معاوية فاسترجع الحسين (ع) ثم قرا عليه كتاب يزيد بن معاوية , فقال الحسين (ع): ((انى لا اراك تقنع ببيعتي ليزيد سراحتى ابايعه جهرا فيعرف ذلك الناس)), فقال له الوليد: اجل , فقال الحسين (ع):((فتصبح وترى رايك في ذلك)) فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى , فقال مروان : و الله لئن فارقك الساعة و لم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابدا حتى يكثير القتلى بينكم و بينه ,

احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع اوتضرب عنقه , فوثب عند ذلك الحسين (ع) و قال : ((انت يا بن الزرقا تقتلني اوهو؟ كذبت و الله و اثمت)) ثم خرج ((٧٢)) .

و اصبح الحسين من غده يستمع الاخبار, فاذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه فقال : ابا عبدالله اني لك ناصح فاطعني ترشد و تسدد, فقال : ((و ما ذاك قل اسمع)) فقال : اني ارشدك لبيعة يزيد فانها خير لك في دينك و في دنياك ,فاسترجع الحسين و قال : ((انا لله و انا اليه راجعون و على الاسلام السلام اذا بليت الامة براع مثل يزيد, ثم قال : يا مروان اترشدني لبيعة يزيد رجل فاسق ,لقد قلت شططا من القول وزللا, ولا الومك فانك اللعين الذي لعنك رسول الله وانت في صلب ابيك الحكم بن العاص , و من لعنه رسول الله فلا ينكر منه ان يدعو لبيعة يزيد, اليك عني يا عدو الله , فانا اهل بيت رسول الله الحق فينا ينطق على السنتنا, وقد سمعت جدي رسول الله يقول : الخلافة محرمة على آل ابي سفيان الطلقا وابنا الطلقا, فاذا رايتم معاوية على منبري فابقروا بطنه ولقد رآه اهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما امروا فابتلاهم بابنه يزيد)) ((٧٣)) .

ثم ان الحسين غادر المدينة الى مكة , و لما بلغ اهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فاتفقوا ان يكتبوا الى الحسين رسائل وينفذوارسلا طالبين منه القدوم اليهم في الكوفة لان القوم قد بايعوه ونبذوا بيعة الامويين , والحوا في ذلك الامر ايما الحاح , مبينين للامام (ع) ان السبل ميسرة والظروف مهيئة لقدومه , حيث كتب له وجهاؤهم من جملة ما كتبوه :

((اما بعد: فقد اخضر الجناب واينعت الثمار, فاذا شئت فاقبل على جند لك مجندة)).

ولما جات رسائل اهل الكوفة تترى على الحسين (ع) ارسل ابن عمه مسلم بن عقيل (رض) الى الكوفة ممثلا عنه لاخذ البيعة له منهم , و للتحقيق من جدية هذاالامر, ثم كتب اليهم : ((اما بعد: فان هانئا وسعيدا قدما على بكتبكم , وكانا آخر من قدم علي من رسلكم , وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم , ومقالة جلكم انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق والهدى , واني باعث اليكم اخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل , فان كتب الي : انه قداجتمع راي ملائكم وذووا الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم , وقراته في كتبكم , فاني اقدم عليكم وشيكاان شا الله , فلعمري ما الامام الا الحاكم بالكتاب , القائم بالقسط, الدائن بدين الحق , الحابس نفسه على ذات الله)) ((٧٤)) .

ثم خرج الامام من مكة متوجها الى الكوفة يوم التروية او يوما قبله مع اهل بيته وجماعة من اصحابه و شيعته , و كان كتاب من مسلم بن عقيل قد وصل اليه يخبره ببيعة ثمانية عشر الفا من اهل الكوفة , وذلك قبل ان تنقلب الامور على مجاريهابشكل لا تصدقه العقول , حيث استطاع عبيدالله ابن زياد بخبثه ودهائه , وافراطه في القتل , ان يثبط همم اهل الكوفة , وان تنكث بيعة الامام الحسين (ع) , ويقتل سفيره بشكل وحشي بشع .

ولما اخذ الامام (ع) يقترب من الكوفة استقبله الحر بن يزيد الرياحي بالف فارس مبعوثا من الوالي عبيدالله بن زياد لاستقدامه و اكراهه على اعطا البيعة ليزيد وارساله قهرا الى الكوفة , فعند ذلك قام الامام و خطب باصحابه واصحاب الحربقوله : ((ايها الناس ان رسول الله قال : من راى سلطانا جائرا مستحلا حرم الله ناكثا لعهد الله , مخالفا لسنة رسول الله , يعمل في عباده بالاثم والعدوان , فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله , الا وان هؤلا قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن , واظهروا الفساد, وعطلوا الحدود, واستاثروابالفي , واحلوا حرام الله وحرموا حلاله , وانا احق من غير)) ((٧٥)) .

الدافع الواقعي للهجرة الى العراق :.

رغم ان الدافع الظاهري لهجرته (ع) الى العراق كانت رسائل اهل الكوفة و رسلهم حتى ان الامام احتج بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي و عمر بن سعد عندماسالاه عن سر مجيئه الى العراق فقال : ((كتب الي اهل مصركم هذا ان اقدم)).

((٧٦)) الا ان السر الحقيقي لهجرته (ع) رغم ادراكه الواضح لما سيترتب عليها من نتائج خطرة ستؤدي بحياته الشريفة , وهو ما وطن نفسه (ع) عليه , يمكن ادراكه من خلال الاستقرا الشامل لمسيرة حياته وكيفية تعامله مع مجريات الاحداث ان الامر الذي لا مناص من الذهاب اليه هو ادراك الامام (ع) ما يشكله الاذعان والتسليم لتولي يزيد بن معاوية خلافة المسلمين رغم ما عرف عنه من تهتك ومجون وانحراف واضح عن ابسط المعايير الاسلامية , وفي هذا مؤشر خطر عن عظم الانحراف الذي اصاب مفهوم الخلافة الاسلامية , وابتعادها الرهيب عن مضمونها الشرعي .

ومن هنا فكان لابد من وقفة شجاعة تعيد للامة جانبا من رشدها المضاع وتفكيرهاالمسلوب ان الامام الحسين (ع) قد اعلنها صراحة بقوله لما طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد, حيث قال : ((فعلى الاسلام السلام اذا بليت الامة براع مثل يزيد)) كما عرفت سابقا.

نعم ان رسول لله (ص) قال : ((صنفان من امتي اذا صلحا صلحت امتي واذا فسدافسدت امتي , قيل : يا رسول الله ومن هما؟ فقال : الفقها والا مرا)) ((٧٧)) , فاذاكان صلاح الامة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها, فقيادة مثل يزيد لا تزيدالامر الا عيثاو فسادا.

ان القيادة الاسلامية بين التنصيص و الشورى , و لم يملك يزيد السلطة لا بتنصيص من الله سبحانه و لا بشورى من الامة , و هذا ما ادركه المسلمون آنذاك حيث كتبوا الى الحسين (ع) رسالة جا فيها: اما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها امرها و غصبها فيئها وتامر عليهابغير رضى منها, ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ((٧٨)) .

ولم يكن الولد (يزيد) فريدا في غصب حق الامة بل سبقه والده معاوية الى ذلك كماهو معروف وليس بخاف على احد, والى تلك الحقيقة الممجوجة يشير الامام علي (ع) في كتاب له الى معاوية , حيث يقول :

((فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور, فقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب , وبانتحالك ما قد علاعنك , وابتزازك لما قد اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك , وملئ به صدرك , فماذا بعد الحق الاالضلال المبين)) ((٧٩)) .

هذا و نظائره المذكورة في التاريخ ما دفع الحسين الى الثورة , و تقديم نفسه و اهل بيته قرابين طاهرة من اجل نصرة هذا الدين العظيم , مع علمه بانه و فقا لما تحت يديه من الامكانات المادية لن يستطع ان يواجه دولة كبيرة تمتلك القدرات المادية الضخمة ما يمكنها من القضا على اي ثورة فتية , نعم ان الامام الحسين (ع) كان يدرك قطعا هذه الحقيقة , الا انه اراد ان يسقي بدمائه الطاهرة المقدسة شجرة الاسلام الوارفة التي يريد الامويون اقتلاعها من جذورها.

كما ان الامام (ع) اراد ان يكسر حاجز الخوف الذي اصاب الامة فجعلها حائرة مترددة امام طغيان الجبابرة وحكام الجور, وان تصبح ثورته مدرسة تتعلم منهاالاجيال معنى البطولة والتضحية من اجل المبادئ والعقائد, وكان كل ذلك بعداستشهاد الامام (ع) , والتاريخ خير شاهد على ذلك .

كان المعروف منذ ولادة الامام الحسين (ع) انه سيستشهد في العراق في ارض كربلا وعرف المسلمون ذلك في عصر النبي الاكرم (ص) ووصيه , لذا كان الناس يترقبون حدوث تلك الفاجعة , كما ان هناك الكثير من القرائن التي تدل بوضوح على حتمية استشهاده (ع) , ومن ذلك :

١ـ روى غير واحد من المحدثين عن انس بن الحارث الذي استشهد في كربلا انه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ((ان ابني هذا يقتل بارض يقال لها كربلا فمن شهد ذلك منكم فلينصره)) فخرج انس بن الحارث فقتل بها مع الحسين (ع) ((٨٠)) .

٢ ـ ان اهل الخبرة و السياسية في عصر الامام كانوا متفقين على ان الخروج الى العراق يشكل خطرا كبيرا على حياة الامام (ع) واهل بيته ولاجل ذلك اخلصوا له النصيحة , واصروا عليه عدم الخروج , ويتمثل ذلك في كلام اخيه محمد ابن الحنفية , وابن عمه ابن عباس , ونسا بني عبد المطلب , ومع ذلك اعتذر لهم الامام وافصح عن عزمه على الخروج ((٨١)) .

٣ـ لما عزم الامام المسير الى العراق خطب و قال : ((الحمد لله و ما شا الله و لا قوة الا بالله و صلى الله على رسوله , خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة , و ما اولهني الى اسلافي , اشتياق يعقوب الى يوسف , و خير لي مصرع انا الاقيه , كاني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات , بين النواويس وكربلافيملان مني اكراشا جوفا واجربة سغبا, لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا اهل البيت , نصبر على بلائه , ويوفينا اجور الصابرين , لن تشذ عن رسول الله (ص) لحمته , بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه , وينجز بهم وعده , الا ومن كان فينا باذلا مهجته , موطنا على لقا الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحا ان شا الله تعالى)) ((٨٢)) .

٤ـ لما بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين (ع) دخل عليه فلامه في المسير,ولما رآه مصرا عليه قبل ما بين عينيه وبكى وقال : استودعك الله من قتيل ((٨٣)) .

٥ـ لما خرج الحسين (ع) من مكة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له : الى اين يا بن رسول الله (ص) ما اعجلك عن الموسم ؟ قال : ((لو لم اعجل لاخذت , ثم قال له : اخبرني عن الناس خلفك)) فقال : الخبير سالت , قلوب الناس معك , واسيافهم عليك ((٨٤)) .

٦ ـ لما اتى الى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل و هاني بن عروة و عبدالله بن يقطر, قال لاصحابه : ((لقد خذلنا شيعتنا, فمن احب منكم الانصراف فلينصرف ليس معه ذمام)) فتفرق الناس عنه , و اخذوا يمينا و شمالا, حتى بقي في اصحابه الذين جاوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا اليه ومع ذلك فقد واصل (ع) مسيره نحو الكوفة , ولما مر ببطن العقبة لقيه شيخ من بني عكرمة يقال عمربن لوذان , فسال الامام : اين تريد؟ فقال له الحسين (ع): ((الكوفة)) فقال الشيخ :انشدك لما انصرفت , فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحدالسيوف , فقال له الحسين : ((ليس يخفى علي الراي , وان الله تعالى لا يغلب على امره)) ((٨٥)) .

وفي نفس النص دلالة على ان الامام كان يدرك ما كان يتخوفه غيره , و ان مصيره لوسار الى الكوفة هو القتل , ومع ذلك اكمل السير طلبا للشهادة من اجل نصرة الدين ورد كيد اعدائه , وحتى لا تبقى لاحد حجة يتذرع بها لتبرير تخاذله وضعفه .

نعم لقد كان الحسين (ع) على بينة من امره و ما سيؤول اليه سفره من مصير محتوم ,فلا شي يقف امام ارادته من اجل اعلا كلمة الدين و تثبيت دعائمه التي ارادالامويون تقويضها, انظر اليه و هو يخاطب الحر بن يزيد الرياحي الذي يحذره من مغبة اصراره على موقفه حيث يقول له : ((افبالموت تخوفني , وهل يعدو بكم الخطب ان تقتلوني , وساقول كما قال اخو الاوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله فخوفه ابن عمه وقال : اين تذهب فانك مقتول , فقال :

سامضي و ما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى حقا و جاهد مسلما.

و واسى الرجال الصالحين بنفسه و فارق مثبورا و خالف مجرما.

فان عشت لم اندم و ان مت لم الم كفى بك ذلا ان تعيش و ترغما ((٨٦)) .

ثم انه كان لشهادة الحسين (ع) اثر كبير في ايقاض شعور الامة و تشجيعها على الثورة ضد الحكومة الاموية التي اصبحت رمزا للفساد والانحراف عن الدين , ولاجل ذلك توالت الثورات بعد شاهدته من قبل المسلمين في العراق والحجاز, وهذه الانتفاضات وان لم تحقق هدفها في وقتها ولكن كان لها الدور الاساسي في سقوط الحكومة الاموية بعد زمان .

ولقد اجاد من قال : لولا نهضة الحسين (ع) و اصحابه - رضي الله عنهم - يوم الطف لماقام للاسلام عمود, ولا اخضر له عود, ولاماته معاوية واتباعه ولدفنوه في اول عهده في لحده فالمسلمون جميعا بل الاسلام من ساعة قيامه الى قيام الساعة رهين شكر للحسين (ع) واصحابه - رضي الله عنهم - ((٨٧)) .

بلى , فلا مغالاة في قول من قال : ان الاسلام محمدي الحدوث حسيني البقاوالخلود.

ترى انى للامام الحسين (ع) الاذعان لحقيقة تسلم يزيد مقاليد خلافة رسول الله (ص), يزيد المنحرف الفاسد, عدو الله وعدو رسوله , الذي لم يستطع اخفادفائنه عندما احضر راس سيد الشهدا بين يديه حيث انشد:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل .

قد قتلنا القرم من ساداتهم و عدلنا قتل بدر فاعتدل .

لاهلوا و استهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل .

لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل .

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جا و لا وحي نزل ((٨٨)) .

واما بيان خروجه من مكة متوجها الى العراق و الحوادث التي تعرضت له في مسيره الى ان نزل بارض كربلا, والتي استشهد فيها مع اولاده واصحابه البالغ عددهم٧٢ شخصا, ظمانا وعطشانا, فهو خارج عن موضوع البحث وقد الف فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات فسلام الله عليه يوم ولد, ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

الامام الرابع :

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) زين العابدين

هو رابع ائمة اهل البيت الطاهر, المشهور بزين العابدين او سيدهم , والسجاد, وذوالثفنات .

ولد في المدينة سنة ٣٨ او ٣٧ ه , وتوفي بها عام ٩٥ او ٩٤ ه , يوم السبت الثاني عشر من محرم .

قال ابن خلكان : هو احد الائمة الاثنى عشر ومن سادات التابعين قال الزهري : مارايت قرشيا افضل منه وفضائله ومناقبه اكثر من ان تحصى وتذكر, ولما توفي دفن في البقيع في جنب عمه الحسن في القبة التي فيها قبر العباس (رض) ((٨٩)) .

ولقد تولى الامامة بعد استشهاد ابيه الحسين (ع) في كربلا, وللاطلاع على النصوص الواردة في امامته ينبغي الرجوع الى كتب الحديث والعقائد المتكفلة بهذا الجانب المهم , واخص منها بالذكر كتاب ((الكافي)) للكليني , و ((الارشاد))للشيخ المفيد, و ((كفاية الاثر)) للخزار , و ((اثبات الهداة)) للحر العاملي .

ومن اراد الاطلاع على مناقبه و كراماته و فضائله في مجالات شتى كالعلم , و الحلم ,و الجراة و الاقدام , و ثبات الجنان , و شدة الكرم و السخا, و الورع , و الزهد, والتقوى , و كثرة التهجد والتنفل , والفصاحة والبلاغة , وشدة هيبته بين الناس ومحبتهم له , وتربيته لجيل عظيم من الصحابة والعلما اوقفوا حياتهم في

خدمة الاسلام , وغير ذلك مما لا يسعنا التعرض لها هنا, فعليه يطلب ذلك في الموسوعات المتعددة التي تعرضت لذلك بالشرح والتفصيل .

الا انا نكتفي هنا بجانب من سيرته (ع) تتعلق بجملة محددة من الا مور:

١ـ هيبته ومنزلته العظيمة :

لقد كان (ع) مهابا جليلا بين الناس بشكل كبير, حتى ان هذه المنزلة العظيمة جعلت الا مرا والحكام يحسدونه عليها, والتاريخ يذكر لنا على ذلك شواهد كثيرة ومتعددة , ومن ذلك :

لما حج هشام بن عبدالملك قبل ان يلي الخلافة اجتهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يمكنه ذلك , و جا علي بن الحسين (ع) فتوقف له الناس , وتنحوا حتى استلم ,فقال جماعة لهشام : من هذا؟ فقال : لا اعرفه (مع انه كان يعرفه انه علي بن الحسين (ع)) فسمعه الفرزدق , فقال : لكني اعرفه , هذا علي بن الحسين زين العابدين , وانشد هشاما قصيدته التي منها هذه الابيات :

هذا الذي تعرف البطحاء و طاته والبيت يعرفه و الحل و الحرم .

هذا ابن خير عبادالله كلهم هذا التفتي النقي الطاهر العلم .

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جا يستلم .

يغضي حيا و يغضى من مهابته فما يكلما الا حين يبتسم .

اذا راته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكم .

ان عدا اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل هم .

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده انبيا الله قد ختموا.

و ليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت و العجم .

الى آخر القصيدة التي حفظتها الامة وشطرها جماعة من الشعرا.

وقد ثقل ذلك على هشام فامر بحبسه , فحبسوه بين مكة والمدينة , فقال معترضا على عمل هشام :

ايحبسني بين المدينة و التي اليها قلوب الناس يهوى منيبها.

يقلب راسا لم يكن راس سيد و عينا له حولا باد عيوبها.

فاخرجه من الحبس فوجه اليه علي بن الحسين (ع) عشرة آلاف درهم و قال : ((اعذرنايا ابا فراس , فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر من هذا لوصلناك به)) فردهاالفرزدق وقال : ما قلت ما كان الا لله , فقال له علي (ع): ((قد راى الله مكانك فشكرك , ولكنا اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه)) واقسم عليه فقبلها.

٢ـ زهده وعبادته ومواساته للفقرا:

اما زهده وعبادته ومواساته للفقرا, وخوفه من الله فغني عن البيان فقد روي عنه (ع)انه اذا توضا اصفر لونه , فيقال : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال : ((اتدرون بين يدي من اريد ان اقف)).

ومن كلماته (ع) : ((ان قوما عبدوا الله رياضة فتلك عبادة العبيد, وان قوما عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار, وان قوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الاحرار)).

وكان اذا اتاه سائل يقول له : ((مرحبا بمن يحمل زادي الى الاخرة)).

وكان (ع) كثير الصدقات حريص عليها, و كان يوصل صدقاته ليلا دون ان يعلم به احد, وقد روي انـه (ع) كـان يـعـول مـائـة عائلة من اهالي المدينة لا يدرون من ياتيهم بالصدقات , ولما توفي (ع) ادركوا ذلك .

وفي رواية : انه (ع) كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول :((صدقة السر تطفئ غضب الرب)).

وفي رواية كان اهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (ع) ((٩٠)) .

وقـال رجـل لـسعيد بن المسيب : ما رايت رجلا اورع من فلان ـ وسمى رجلا ـ فقال له سعيد: اما رايت علي بن الحسين ؟ فقال : لا, فقال : ما رايت اورع منه .

وقال ابو حازم : ما رايت هاشميا افضل من علي بن الحسين .

وقـال طـاووس : رايت علي بن الحسين (ع) ساجدا في الحجر فقلت : رجل صالح من اهل بيت طيب لاسـمـعن مـا يـقول , فاصغيت اليه فسمعته يقول : ((عبيدك بفنائك ,مسكينك بفنائك , سائلك بفنائك , فقيرك بفنائك)) قال طاووس : فوالله ما دعوت بهن في كرب الا كشف عني .

وكان يصلي في كل يوم و ليلة الف ركعة , فاذا اصبح سقط مغشيا عليه , و كانت الريح تميله كالسنبلة , و كـان يـومـا خـارجا فلقيه رجل فسبه فثارت اليه العبيد و الموالي ,فقال لهم علي (ع): (((مهلا كفوا)) ثم اقبل على ذلك الرجل فقال له : ((ما ستر عنك من امرنا اكثر, الك حاجة نعينك عليها؟)) فـاستحى الرجل فالقى اليه (ع) خميصة كانت عليه , وامر له بالف درهم , فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول : اشهد انك من اولاد الرسل ((٩١)) .

الثروة العلمية للامام :

امـا الـثـروة الـعلمية و العرفانية , فهي ادعيته التي رواها المحدثون باسانيدهم المتضافرة , والتي جـمـعت بـمـا اسمي بالصحيفة السجادية المنتشرة في العالم ,فهي زبور آل محمد, ومن الخسارة الفادحة ان اخواننا اهل السنة الا النادر القليل منهم غير واقفين على هذا الاثر القيم الخالد.

نعم , ان فصاحة الفاظها, و بلاغة معانيها, و علو مضامينها, و ما فيها من انواع التذلل لله تعالى و الثنا عليه , و الاساليب العجيبة في طلب عفوه و كرمه و التوسل اليه ,اقوى شاهد على صحة نسبتها اليه , وان هذا الدر من ذلك البحر, وهذا الجوهرمن ذلك المعدن , وهذا الثمر من ذلك الشجر, مضافا الى اشـتـهـارهـا شـهـرة لا تـقـبـل الـريـب , وتـعدد اسانيدها المتصلة الى منشئها, فقد رواها الثقاة باسانيدهم المتعددة المتصلة , الى زين العابدين ((٩٢)) .

وقد ارسل احد الاعلام نسخة من الصحيفة مع رسالة الى العلامة لشيخ الطنطاوي (المتوفى عام ١٣٥٨ ه) صاحب التفسير المعروف , فكتب في جواب رسالته :((ومن الشقا انا الى الان لم نقف على هذا الاثر القيم الخالد في مواريث النبوة واهل البيت , واني كلما تاملتها رايتها فوق كلام المخلوق , دون كلام الخالق)) ((٩٣) .

وكـان الـمعروف بين الشيعة هو الصحيفة الاولى التي واحدا و ستين دعا في فنون الخير و انواع الـسؤال من الله سبحانه , و التي تعلم الانسان كيف يلجا الى ربه في الشدائد والمهمات , وكيف يطلب مـنـه حوائجه , وكيف يتذلل ويتضرع له , وكيف يحمد ويشكر له غير ان لفيفا من العلما استدركوا عـلـيـهـا فجمعوا من شواردادعيته صحائف خمسة اخيرتها ما جمعه العلامة السيد محسن الامين العاملي (قدس سره).

ولقد قام العلامة الحجة السيد محمد باقر الابطحي ـ دام ظله ـ بجمع جميع ادعية الامام الموجودة في هذه الصحف في جامع واحد, وقال في مقدمته :

وحري بنا القول ان ادعيته (ع) كانت ذات وجهين : وجها عباديا, و آخر اجتماعيايتسق مع مسار الحركة الاصلاحية التي قادها الامام (ع) في ذلك الظرف الصعب فاستطاع بقدرته الفائقة المسددة ان يمنح ادعيته ـ الى جانب روحها التعبدية ـمحتوى اجتماعيا متعدد الجوانب , بما حملته من مفاهيم خصبة , وافكار نابضة بالحياة , فهو (ع) صاحب مدرسة الهية , تارة يعلم المؤمن كيف يمجد الله ويقدسه , وكيف يلج باب التوبة , وكيف يناجيه وينقطع اليه , وا خرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلمه اسلوب البر بالوالدين , ويشرح حقوق الوالد والولد, والاهل , والاصدقا, والجيران , ثم يبين فاضل الاعمال وما يجب ان يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي , كل ذلك باسلوب تعليمي رائع وبليغ .

وصفوة القول : انها كانت اسلوبا مبتكرا في ايصال الفكر الاسلامي و المفاهيم الاسلامية الاصيلة الى القلوب الظماى , والافئدة التي تهوى اليها لترتزق من ثمراتها, وتنهل من معينها, فكانت بحق عملية تربوية نموذجية من الطراز الاول ,اسس بناها الامام السجاد (ع) مستلهما جوانبها من سير الانبيا وسنن المرسلين ((٩٤)) .

ومن ادعيته (ع) في هذه الصحيفة دعاؤه في يوم عرفة , ومنه :

((اللهم هذا يوم عرفة , يوم شرفته وكرمته وعظمته , نشرت فيه رحمتك , ومننت فيه بعفوك , واجزلت فيه عطيتك , وتفضلت به على عبادك .

اللهم وانا عبدك الذي انعمت عليه قبل خلقك له , وبعد خلقك اياه , فجعلته ممن هديته لدينك , ووفقته لحقك , وعصمته بحبلك , وادخلته في حزبك , وارشدته لموالاة اوليائك ومعاداة اعدائك)).

رسالة الحقوق :

ان للامام علي بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق , اوردها الصدوق في خصاله ((٩٥)) بسند معتبر, ورواها الحسن بن شعبة في تحف العقول ((٩٦)) مرسلة , و بين النقلين اختلاف يسير.

وهي من جلائل الرسائل في انواع الحقوق , يذكر الامام فيها حقوق الله سبحانه على الانسان , وحقوق نفسه عليه , وحقوق اعضائه من اللسان والسمع والبصروالرجلين واليدين والبطن والفرج , ثم يذكر حقوق الافعال , من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدي التي تبلغ خمسين حقا, آخرها حق الذمة .

كما روى الحفاظ وتلاميذ مدرسته احاديثا وحكما مختلفة جليلة حوتها بطون الكتب المختلفة , جمع الكثير منها العلامة المجلسي في موسوعته الموسومة ببحارالانوار, من مختلف المصادر, فراجع .

الامام الخامس :

ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) الباقر

هو خامس ائمة اهل البيت الطاهر, المعروف بالباقر, وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له قال ابن منظور في لسان العرب : لقب به لانه بقر العلم وعرف اصله واستنبط فرعه وتوسع فيه ((٩٧)) .

وقال ابن حجر: سمي بذلك لانه من بقر الارض اي شقها, واثارة مخباتها, ومكامنها,فكذلك هو اظهر من مخبات كنوز المعارف وحقائق الاحكام , والحكم واللطائف ما لا يخفى الا على منطمس البصيرة او فاسد الطوية والسريرة , ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه ((٩٨)) .

وقال ابن كثير : ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب , وسمي بالباقر لبقره العلوم , واستنباطه الحكم , كان ذاكرا خاشعا صابرا, وكان من سلالة النبوة , رفيع النسب , عالي الحسب , وكان عارفا بالخطرات , كثير البكا والعبرات ,معرضا عن الجدال والخصومات ((٩٩)) .

وقال ابن خلكان : ابو جعفر محمد بن زين العابدين , الملقب بالباقر, احد الائمة الاثنى عشر في اعتقاد الامامية , وهو والد جعفر الصادق كان الباقر عالما سيداكبيرا, وانما قيل له الباقر لانه تبقر في العلم اي توسع , وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لاهل التقى وخير من لبى على الاجبل ((١٠٠)) .

ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧ ه وقيل ٥٦ ه , وتوفي في السابع من ذي الحجة سنة١١٤ ه , وعمره الشريف ٥٧ سنة عاش مع جده الحسين (ع) ٤ سنين , ومع ابيه (ع) بعد جده (ع) تسعا وثلاثين سنة , وكانت مدة امامته (ع) ١٨ سنة ((١٠١)) .

واما النصوص الدالة على امامته من ابيه واجداده والتي ذكرها المحدثون والمحققون من علمائنا الاعلام فهي مستفيضة نقلها الكليني (رض) وغيره .

قال ابن سعد: محمد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة , كان عالما عابداثقة , وروى عنه الائمة ابو حنيفة وغيره .

قال ابو يوسف : قلت لابي حنيفة : لقيت محمد بن علي الباقر؟ فقال : نعم وسالته يومافقلت له : اراد الله المعاصي ؟ فقال : ((افيعصى قهرا))؟ قال ابو حنيفة : فما رايت جوابا افحم منه .

وقال عطا: ما رايت العلما عند احد اصغر علما منهم عند ابي جعفر, لقد رايت الحكم عنده كانه مغلوب , ويعني الحكم بن عيينة , وكان عالما نبيلا جليلا في زمانه .

وذكر المدائني : عن جابر بن عبدالله انه اتى ابا جعفر محمد بن علي الى الكتاب وهو صغير فقال له : رسول الله (ص) يسلم عليك , فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال :كنت جالسا عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال : ((يا جابر يولدمولود اسمه علي اذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ,ثم يولد له ولد, اسمه محمد, فان ادركته يا جابر فاقراه مني السلام)).

و ذكر ابن الصباغ المالكي بعد نقل القصة : ان النبي (ص) قال لجابر: ((وان لاقيته فاعلم ان بقاك في الدنيا قليل)) فلم يعش جابر بعد ذلك الا ثلاثة ايام .

ثم قال :هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الايام , وفضيلة شهد له بها الخاص والعام ((١٠٢)) .

وقال المفيد: لم يظهر عن احد من ولد الحسن والحسين (ع) في علم الدين والاثاروالسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الاداب ما ظهر من ابي جعفر الباقر (ع) ((١٠٣)) .

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقها المسلمين وسارت بذكر كلامه الاخبار وانشدت في مدائحه الاشعار ((١٠٤)) .

قال ابن حجر: صفا قلبه , وزكاه علمه وعمله , وطهرت نفسه , وشرف خلقه , وعمرت اوقاته بطاعة الله , وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين , وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة ((١٠٥)) .

واما مناظراته مع المخالفين فحدث عنه ولا حرج , وقد جمعها العلامة الطبرسي في كتاب الاحتجاج ((١٠٦)) .

قال الشيخ المفيد في الارشاد: و جات الاخبار: ان نافع بن الازرق ((١٠٧)) جا الى محمد بن علي فجلس بين يديه يساله عن مسائل الحلال و الحرام فقال له ابوجعفر في عرض كلامه : ((قل لهذه المارقة , بم استحللتم فراق امير المؤمنين , وقدسفكتم دماكم بين يديه في طاعته والقربة الى الله بنصرته ؟ فسيقولون لك : انه حكم في دين الله , فقل لهم : قد حكم الله تعالى في شريعة نبيه (ص) رجلين من خلقه فقال : (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما), وحكم رسول الله (ص) سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بماامضاه الله , او ما علمتم ان اميرالمؤمنين انما امر الحكمين ان يحكما بالقرآن و لايتعدياه , و اشترط رد ما خالف القرآن في احكام الرجال , و قال حين قالوا له :حكمت على نفسك من حكم عليك ؟ فقال : ما حكمت مخلوقا وانما حكمت كتاب الله فاين تجد المارقة تضليل من امر بالحكم بالقرآن ,

واشترط رد ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان))؟ فقال نافع بن الازرق : هذا والله كلام ما مربسمعي قط ولا خطر مني ببال , وهو الحق ان شا الله .

ثم ان الشيعة الامامية اخذت كثيرا من الاحكام الشرعية عنه وعن ولده البار جعفرالصادق وحسب الترتيب المتداول في الكتب الفقهية , حيث روي عنه (ع) الكثيرمن الروايات الفقهية التي تناولت مختلف جوانب الحياة , وللاطلاع على ذلك تراجع كتب الفقه وموسوعاته المختلفة .

واما ما روي عنه في الحكم والمواعظ, فقد نقلها ابو نعيم الاصفهاني في حلية الاوليا, والحسن بن شعبة الحراني في تحفه ((١٠٨)) .

وقد توفي الامام محمد الباقر (ع) عام ١١٤ ه , ودفن في جنب قبر ابيه في البقيع ,ومن اراد البحث عن فصول حياته في شتى المجالات فليراجع الموسوعات التي تحفل بها المكتبات العامة والخاصة .

الامام السادس :

جعفر بن محمد (ع) الصادق

هو الامام السادس من ائمة اهل البيت الطاهر ـ رضى الله عنهم اجمعين ـ ولقب بالصادق لصدقه في مقاله , وفضله اشهر من ان يذكر ولد عام ٨٠ ه , وتوفي عام١٤٨ ه , ودفن في البقيع جنب قبر ابيه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم اجمعين ـ فلله دره من قبر ما اكرمه واشرفه ((١٠٩)) .

قال محمد بن طلحة : هو من عظما اهل البيت و ساداتهم , ذو علوم جمة , و عبادة موفورة , و زهاد بينة , و تلاوة كثيرة , يتبع معاني القرآن الكريم , و يستخرج من بحره جواهره , و يستنتج عجائبه , و يقسم اوقاته على انواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه , رؤيته تذكر بالاخرة , واستماع كلامه يزهد في الدنيا,والاقتدا بهداه يورث الجنة , نور قسماته شاهد انه من سلالة النبوة , وطهارة افعاله تصدع انه من ذرية الرسالة : نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من اعيان الائمة واعلامهم , مثل : يحيى بن سعيد الانصاري , وابن جريج , ومالك بن انس , والثوري , وابن عيينة , وابو حنيفة , وشعبة , وابو ايوب السجستاني وغيرهم , وعدوا اخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها ((١١٠)) .

ذكر ابوالقاسم البغار في مسند ابي حنيفة : قال الحسن بن زياد: سمعت ابا حنيفة وقدسئل : من افقه من رايت ؟ قال : جعفر بن محمد, لما اقدمه المنصور بعث الي فقال : يا ابا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيئ لي من مسائلك الشداد, فهيات له اربعين مسالة , ثم بعث الي ابو جعفر وهو بالحيرة فاتيته .

فدخلت فدخلت عليه , و جعفر جالس عن يمينه , فلما بصرت به , دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لابي جعفر, فسلمت عليه , فاوما الي فجلست , ثم التفت اليه فقال : يا ابا عبدالله هذا ابو حنيفة قال : نعم اعرفه , ثم التفت الي فقال : يا اباحنيفة الق على ابي عبد الله من مسائلك فجعلت القي عليه فيجيبني فيقول : انتم تقولون كذا, واهل المدينة يقولون كذا, ونحن نقول كذا, فربما تابعنا وربماتابعهم , وربما خالفنا جميعا حتى اتيت على الاربعين مسالة فما اخل منها بشي ثم قال ابو حنيفة : اليس ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس ((١١١)) .

عن مالك بن انس : جعفر بن محمد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على احدى ثلاث خصال : اما مصل واما صائم واما يقرا القرآن , و ما رات عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا ((١١٢)) .

وعن ابي بحر الجاحظ (مع عدائه لاهل البيت): جعفر بن محمد الذي ملا الدنياعلمه و فقهه , ويقال : ان ابا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري , وحسبك بهما في هذا الباب ((١١٣)) .

واما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر, ويحار في انواعها فهم اليقظ الباصر,حتى ان من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى , صارت الاحكام التي لا تدرك عللها, والعلوم التي تقصر الافهام عن الاحاطة بحكمها, تضاف اليه و تروى عنه ((١١٤)) .

وقال ابن الصباغ المالكي : كان جعفر الصادق (ع) من بين اخوته , خليفة ابيه , ووصيه والقائم بالامامة من بعده , برز على جماعة بالفضل , وكان انبههم ذكرا واجلهم قدرا, نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان , وانتشر صيته وذكره في البلدان , ولم ينقل العلما عن احد من اهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث .

انك اذا تتبعت كتب التاريخ و التراجم و السير تقف على نظير هذه الكلمات واشبهاها, كلها تعرب عن اتفاق الامة على امامته في العلم والقيادة الروحية , وان اختلفوا في كونه اماما منصوصا من قبل الله عزوجل , فذهبت الشيعة الى الثاني نظرا الى النصوص المتواترة المذكورة في مظانها ((١١٥)) .

ولقد امتد عصر الامام الصادق (ع) من آخر خلافة عبدالملك ابن مروان الى وسطخلافة المنصور الدوانيقي اي من سنة ٨٣ ه الى سنة ١٤٨ ه فقد ادرك طرفا كبيرامن العصر الاموي , و عاصر كثيرا من ملوكهم و شاهد من حكمهم اعنف اشكاله ,وقضى حياته الاولى حتى الحادية عشر من عمره مع جده زين العابدين , وحتى الثانية والثلاثين مع ابيه الباقر ونشا في ظلهما يتغذى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربى تربيته الدينية , وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاختص بعد وفاة ابيه بالزعامة سنة ١١٤ ه , واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الاقطار الاسلامية .

((وقد اتسم العصر المذكور الذي عاشه الامام بظهور الحركات الفكرية , و وفود الاراالاعتقادية الغربية الى المجتمع الاسلامي و اهمها عنده هي حركة الغلاة الهدامة ,الذين تطلعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجا الى بث روح التفرقة بين المسلمين , وترعرت بنات افكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصارلمبادئهم التي قضى عليها الاسلام , فقد اغتنموا الفرصة في بث تلك الاراالفاسدة في المجتمع الاسلامي , فكانوا يبثون الاحاديث الكاذبة ويسندونها الى حملة العلم من آل محمد, ليغروا به العامة , فكان المغيرة بن سعيد يدعي الاتصال بابي جعفر الباقر و يروي عنه الاحاديث المكذوبة , فاعلن الامام الصادق (ع) كذبه والبراة منه , واعطى لاصحابه قاعدة في الاحاديث التي تروى عنه , فقال : ((لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق القرآن والسنة , او تجدون معه شاهدامن احاديثنا المتقدمة)).

ثم ان الامام قام بهداية الامة الى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الارا والافكار, و اشتعلت فيه نار الحرب بين الامويين و معارضيهم من العباسيين , ففي تلك الظروف الصعبة و القاسية استغل الامام الفرصة فنشر من احاديث جده ,وعلوم آبائه ما سارت به الركبان , وتربى على يديه آلاف من المحدثين والفقهاولقد جمع اصحاب الحديث اسما الرواة عنه من الثقاة ـ على اختلاف آرائهم ومقالاتهم ـ فكانوا اربعة آلاف رجل ((١١٦)) وهذه سمة امتاز بها الامام الصادق عن غيره من الائمة ـ عليه و عليهم السلام ـ.

ان الامام (ع) شرع بالرواية عن جده و آبائه عندما اندفع المسلمون تدوين احاديث النبي (ص) بعد الغفلة التي استمرت الى عام ١٤٣ه ((١١٧)) حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسربت الى السنة , العديد من الروايات الاسرائيلية والموضوعة من قبل اعدا الاسلام من الصليبيين والمجوس بالاضافة الى المختلقات والمجعولات على يد علما السلطة ومرتزقة البلاط الاموي .

ومن هنا فقد وجد الامام (ع) ان امر السنة النبوية قد بدا ياخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة , فعمد (ع) للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة , وتفنيد الاراالدخيلة على الاسلام والتي تسرب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم .

ان تلك الفترة شكلت تحديا خطيرا لوجود السنة النبوية , وخلطا فاضحا في كثير من المعتقدات , لذا فان الامام (ع) كان بحق سفينة النجاة من هذا المعترك العسر.

ان علوم اهل البيت (ع) متوارثة عن جدهم المصطفى محمد (ص), الذي اخذهاعن الله تعالى بواسطة الامين جبرئيل (ع), فلا غرو ان تجد الامة ضالتها فيهم (ع), و تجد مرفا الامان فى هذه اللجج العظيمة , ففي ذلك الوقت حيث اخذ كل يحدث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة , او اسانيد مشوشة , تجدان

الامام الصادق (ع) يقول : ((حديثي حديث ابي , وحديث ابي حديث جدي ,وحديث جدي حديث علي بن ابي طالب , وحديث علي حديث رسول الله (ص), وحديث رسول الله قول الله عزوجل)).

بيد ان ما يثير العجب ان تجد من يعرض عن دوحة النبوة الى رجال قد كانوا وبالاعلى الاسلام واهله وتلك وصمة عار وتقصير لا عذر فيه خصوصا في صحيح البخاري .

فالامام البخاري مثلا يروي ويحتج بمثل مروان بن الحكم , وعمران ابن حطان وحريز بن عثمان الرحبي وغيرهم , ويعرض عن الرواية عن الامام الصادق (ع).

اما الاول : فهو الوزغ ابن الوزغ , اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله (ص), واماالثاني : فهو الخارجي المعروف الذي اثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره , واماالثالث : فكان ينتقص عليا وينال منه , ولست ادري لم هذا الامر, انه مجرد تساؤل .

ان للامام الصادق ورا ما نشر عنه من الاحاديث في الاحكام التي تتجاوز عشرات الالاف , مناظرات مع الزنادقة والملحدين في عصره , والمتقشفين من الصوفية ,ضبط المحققون كثيرا منها, وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الامام (ع), و اماالرواية عنه في الاحكام فقد روى عنه ابان بن تغلب ثلاثين الف حديثا.

حتى ان الحسن بن علي الوشا قال : ادركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة)تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ((١١٨)) .

واما ما اثر عنه من المعارف والعقائد فحدث عنها ولا حرج , ولا يسعنا نقل حتى القليل منها, ومن اراد فليرجع الى مظانها ((١١٩)) .

يقول ((سيد امير علي)) بعد النقاش حول الفرق المذهبية والفلسفية في عصر الامام ,يقول :

((ولم تتخذ الارا الدينية اتجاها فلسفيا الا عند الفاطميين , ذلك ان انتشار العلم في ذلك الحين اطلق روح البحث و الاستقصا و اصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل مجتمع من المجتمعات , و الجدير بالذكر ان زعامة تلك الحركة الفكرية انما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة , والتي اسسها حفيدعلي بن ابي طالب المسمى بالامام جعفر والملقب بالصادق , وكان رجلا بحاثة ومفكرا كبيرا جيد الالمام بعلوم ذلك العصر, ويعتبر اول من اسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الاسلام .

ولم يكن يحضر محاضراته اولئك الذين اسسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب ((١٢٠)) بل كان يحضرها الفلاسفة و طلاب الفلسفة من الانحا القصية , وكان الامام ((الحسن البصري)) مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة , وواصل بن عطا مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه , الذين نهلوا من معين علمه الفياض وقد عرف واصل والامام العلوي بدعوتهما الى حرية ارادة الانسان ((١٢١)) .

واما حكمه وقصار كلمه , فلاحظ تحف العقول , واما رسائله فكثيرة منها رسالته الى النجاشي والي الاهواز, ومنها: رسالته في شرائع الدين نقلها الصدوق في الخصال , ومنها: ما املاه في التوحيد للمفضل بن عمر, الى غير ذلك من الرسائل التي رسمها بخطه ((١٢٢)) .

ونقتطف من وصاياه وكلماته الغزيرة وصية واحدة وهي وصيته لسفيان الثوري :

الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة , وترك حديث لم تروه ((١٢٣)) ,افضل من روايتك حديثا لم تحصه .

ان على كل حق حقيقة , وعلى كل صواب نورا, فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه ((١٢٤)) .

ونختم هذا البحث بما قاله ابو زهرة في هذا المجال :

ان للامام الصادق فضل السبق وله على الاكابر فضل خاص , فقد كان ابو حنيفة يروي عنه , ويراه اعلم الناس باختلاف الناس , واوسع الفقها احاطة , وكان الامام مالك يختلف اليه دارسا راويا وكان له فضل الاستاذية على ابي حنيفة فحسبه ذلك فضلا.

وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيد اهل المدينة في عصره فضلاوشرفا ودينا وعلما, وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري , وكثير من التابعين وهو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل الى لبابه فهو ممن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف الاضافي بكريم النسب , والقرابة الهاشمية , والعترة المحمدية ((١٢٥)) .

وبما كتبه الاستاذ اسد حيدر اذ قال :

كان يؤم مدرسته طلاب العلم و رواة الحديث من الاقطار النائية , لرفع الرقابة و عدم الحذر فارسلت الكوفة , والبصرة , وواسط, والحجاز الى جعفر بن محمد افلاذاكبادها, ومن كل قبيلة من بني اسد ومخارق , وطي , وسليم , وغطفان , وغفار,والازد, وخزاعة , وخثعم , ومخزوم , وبني ضبة , ومن قريش , ولا سيما بني الحارث بن عبد المطلب , وبني الحسن بن الحسن ابن علي ((١٢٦)) .

ولما توفي الامام شيعه عامة الناس في المدينة , وحمل الى البقيع ودفن في جوارابيه وجده (ع), وقد انشد فيه ابو هريرة العجلي قوله :

اقول و قد راحوا به يحملونه على كاهل من حامليه و عاتق .

اتدرون ماذا تحملون الى الثرى ثبيرا ثوى من راس عليا شاهق .

غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ترابا و اولى كان فوق المفارق .

فسلام الله عليه يوم ولد و يوم مات و يوم يبعث حيا.

الامام السابع :

ابو الحسن موسى بن جعفر (ع) الكاظم

سابع ائمة اهل البيت الطاهر ولد بالابوا بين مكة والمدينة يوم الاحد في ٧ صفر سنة١٢٨ ه , واستشهد بالسم في سجن الرشيد عام ١٨٣ ه , ودفن في بغداد في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في ايامنا هذه بالكاظمية .

كان (ع) انموذج عصره , و فريد دهره , جليل القدر, عظيم المنزلة , مهيب الطلعة ,كثير التعبد, يطوي ليله قائما ونهاره صائما, عظيم الحلم , شديد التجاوز, حتى سمي لذلك كاظما, لاقى من المحن ما تنهد لهولها الجبال فلم تحرك منه طرفا,بل كان (ع) صابرا محتسبا كحال آبائه واجداده ـ عليهم السلام .

يعرف باسما عديدة منها: العبد الصالح , والكاظم , والصابر, والامين .

قال ابن الصباغ : روى عبد الاعلى عن الفيض بن المختار قال : قلت لابي عبد الله جعفر الصادق (ع) : خذ بيدي من النار, من لنا بعدك ؟ فدخل موسى الكاظم وهويومئذ غلام , فقال (اي الصادق (ع)): ((هذا صاحبكم فتمسك به)) ((١٢٧)) .

قال الشيخ المفيد: هو الامام بعد ابيه , والمقدم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه , وورود صحيح النصوص وجلي الاقوال عليه من ابيه بانه ولي عهده والامام القائم من بعده ((١٢٨)) .

وقد تولى منصب الامامة بعد ابيه الصادق (ع) في وقت شهدت فيه الدولة العباسية استقرار اركانها و ثبات بنيانها, فتنكرت للشعار الذي كانت تنادي به من الدعوة لال محمد ـ عليه و عليهم السلام ـ, فالتفتت الى

الوريث الشرعي لشجرة النبوة مشهرة سيف العدا له ولشيعته تلافيا من تعاظم نفوذه ان يؤتي على اركان دولتهم وينقضها, فشهد الامام الكاظم (ع) طيلة سني حياته صنوف التضييق والمزاحمة , الا ان ذلك لم يمنعه (ع) من ان يؤدي رسالته في حماية الدين وقيادة الامة , فعرفه المسلمون آية من آيات العلم والشجاعة , ومعينا لا ينضب من الحلم والكرم والسخا, ونموذجا عظيما لا يدانى في التعبد والزهد والخوف من الله تعالى .

ولقد افرد الباحثون والمحققون تاليف كثيرة في سيرة هذا الامام العظيم , كفتنا عن التعرض لها هنا في هذه العجالة , الا اننا سنحاول في هذه الصفحات التعرض لجوانب مختارة من تلك السيرة العطرة :

١ ـ روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال : حج هارون الرشيد فاتى قبر النبي (ص) زائرا, وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر, فلما انتهى الى القبر قال : السلام عليك يا رسول الله يا بن عمي ـ افتخارا على من حوله ـ , فدنى موسى بن جعفرفقال : ((السلام عليك يا ابة)) فتغير وجه الرشيد وقال : هذا الفخر يا ابا الحسن حقا ((١٢٩)) .

٢ـ ذكر الزمخشري في ربيع الابرار: ان هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا اباالحسن خذ فدك ((١٣٠)) حتى اردها عليك , فيابى , حتى الح عليه فقال : ((لاآخذها الا بحدودها)) قال : و ما حدودها؟ قال : ((يا امير المؤمنين ان حددتها لم تردها)), قال : بحق جدك الا فعلت , قال : ((اما الحد الاول فعدن)) فتغير وجه الرشيدوقال : هيه , قال : ((والحد الثاني سمرقند)) فاربد وجهه , قال : ((والحد الثالث افريقيا))فاسود وجهه وقال : هيه , قال : ((والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وارمينية)), قال الرشيد: فلم يبق لنا شي فتحول في مجلسي , قال موسى (ع) : ((قد اعلمتك اني ان حددتها لم تردها)).

فعند ذلك عزم على قتله ((١٣١)) .

٣ـكان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس ويخرلله ساجدا, فلا يرفع راسه من الدعا والتحميد حتى يقرب زوال الشمس .

وكان يدعو كثيرا فيقول : ((اللهم اني اسالك الراحة عند الموت , والعفو عند الحساب)),ويكرر ذلك .

وكان من دعائه (ع) : ((عظم الذنب من عبدك , فليحسن العفو من عندك)).

وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع .

وكان اوصل الناس لاهله ورحمه .

وكان يتفقد فقرا المدينة في الليل فيحمل اليهم الزنبيل فيه العين والورق والادقة والتمور, فيوصل اليهم ذلك ولا يعلمون من اي جهة هو ((١٣٢)) .

٤ـ في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة : قال ابو حنيفة : حججت في ايام ابي عبدالله الصادق (ع) فلما اتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز انتظراذنه , اذ خرج صبي فقلت : يا غلام اين يضع الغريب الغائط من بلدكم ؟ قال : ((على رسلك)), ثم جلس مستندا الى الحائط, ثم قال : ((توق شطوط الانهار, ومساقطالثمار, وافنية المساجد, وقارعة الطريق , وتوار خلف جدار, وشل ثوبك , ولاتستقبل القبلة ولا تستدبرها, وضع حيث شئت)) فاعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له : ما اسمك ؟ فقال :: ((انا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب)) فقلت له : يا غلام ممن المعصية ؟ فقال : ((ان السيئات لا تخلومن احدى ثلاث : اما ان تكون من الله وليست من العبد فلا ينبغي للرب ان يعذب العبد على ما لا يرتكب , واما ان تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي ان يظلم الشريك الضعيف , واما ان تكون من العبد ـ وهي منه ـفان عفا فكرمه وجوده وان عاقب فبذنب العبد وجريرته)).

قال ابو حنيفة : فانصرفت ولم الق ابا عبد الله واستغنيت بما سمعت .

وروى ابن شهر آشوب في المناقب نحوه الا انه قال : ((يتوارى خلف الجدار ويتوقى اعين الجار)), وقال : فلما سمعت هذا القول منه نبل في عيني , وعظم في قلبي وقال في آخر الحديث : فقلت : ذرية بعضها من بعض ((١٣٣)) .

٥ـروى ابو الفرج الاصفهاني : حدثنا يحيى بن الحسن قال : كان موسى بن جعفر اذابلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير وكانت صراره ما بين الثلاثمائة والى المائتين دينار, فكانت صرار موسى مثلا.

وقال : ان رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن ابي طالب اذا راى موسى بن جعفر, ويؤذيه اذا لقيه , فقال له بعض مواليه وشيعته : دعنا نقتله , فقال : ((لا)),ثم مضى راكبا حتى قصده في مزرعة له فتواطاها بحماره , فصاح : لا تدس زرعنا.

فلم يصغ اليه و اقبل حتى نزل عنده فجلس معه و جعل يضاحكه , و قال له : ((كم غرمت على زرعك هذا))؟ قال : مائة درهم , قال : ((كم ترجو ان تربح))؟ قال : لاادري , قال : ((انما سالتك كم ترجو)), قال : مائة اخرى قال : فاخرج ثلاثمائة دينارفوهبه له , فقام فقبل راسه , فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه وجعل يقول : الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج وسلم عليه ويقوم له , فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله : ((ايما كان خيرا ما اردتم او ما اردت)) ((١٣٤)) .

٦ـ حكي ان الرشيد ساله يوما: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله (ص) و انتم بو علي وانما ينسب الرجل الى جده لابيه دون جده لامة ؟ فقال الكاظم (ع): ((اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : (ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين # وزكريا ويحيى وعيسى والياس) وليس لعيسى اب انما الحق بذرية الانبيا من قبل امه , وكذلك الحقنابذرية النبي من قبل امنا فاطمة الزهرا, و زيادة اخرى يا امير المؤمنين : قال الله عزوجل : (فمن حاجك فيه من بعدما جاك من العلم فقل تعالوا ندع ابناناوابناكم ونسانا ونساكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل) ولم يدع (ص) عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الابنا)) ((١٣٥)) .

٧ـ اما علمه والحديث عنه فقد روى عنه العلما في فنون العلم ما ملا الكتب , وكان يعرف بين الرواة بالعالم وقد روى الناس عنه فاكثروا, وكان افقه اهل زمانه واحفظهم لكتاب الله ((١٣٦)) .

وقد اتفقت كلمة المؤرخين على ان هارون الرشيد قام باعتقال الامام الكاظم (ع)وايداعه السجن لسنين طويلة مع تاكيده على سجانيه بالتشديد والتضييق عليه .

قال ابن كثير: فلما طال سجن الامام الكاظم (ع) كتب الى الرشيد: اما بعد يا اميرالمؤمنين انه لم ينقض عني يوم من البلا الا انقضى عنك يوم من الرخا, حتى يفضي بنا ذلك الى يوم يخسر فيه المبطلون ((١٣٧)) .

ولم يزل ذلك الامر بالامام (ع), ينقل من سجن الى سجن حتى انتهى به الامر الى سجن السندي بن شاهك ((١٣٨)) , و كان فاجرا فاسقا, لا يتورع عن اي شي تملقا ومداهنة للسلطان , فغالى في سجن الامام (ع) وزاد في تقييده حتى جا امرالرشيد بدس السم للكاظم (ع) , فاسرع السندي الى انفاذ هذا الامر العظيم واستشهد الامام (ع) بعد طول سجن ومعاناة في عام ١٨٣ ه.

ولما كان الرشيد يخشى ردة فعل المسلمين عند انتشار خبر استشهاد الامام (ع), لذاعمد الى حيلة ماكرة للتنصل من تبعة هذا الامر الجلل , فقد ذكر ابوالفرج الاصفهاني و غيره ((١٣٩)) : ان الامام الكاظم لما توفي مسموما ادخل عليه الفقهاووجوه اهل بغداد, وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ليشهدوا على انه مات حتف انفه دون فعل من الرشيد وجلاوزته , ولما شهدوا على ذلك اخرج بجثمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد ونودي بوفاته فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجينا مظلوما مسموما, ويوم يبعث حيا.

الامام الثامن :

علي بن موسى بن جعفر ـ عليهم السلام ـ الرضا

هو الامام الثامن من ائمة اهل البيت ـ عليهم السلام ـ , القائم بالامام بعد ابيه موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ لفضله على جماعة اهل بيته وبنيه واخوته في عصره ,ولعلمه وورعه وكفاته لمنصب الامامة , مضافا الى النصوص الواردة في حقه من ابيه على امامته ((١٤٠)) .

ولد في المدينة سنة ١٤٨ ه, واستشهد في طوس من ارض خراسان في صفر ٢٠٣ ه,وله يومئذ ٥٥ سنة , وكانت مدة امامته بعد ابيه ٢٠ سنة ((١٤١)) .

قال الواقدي : علي بن موسى , سمع الحديث من ابيه وعمومته وغيرهم , وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله (ص) وهو ابن نيف وعشرين سنة , وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من اهل المدينة ((١٤٢)) .

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة : و من امعن نظره و فكره , وجده في الحقيقة وارثهما(المراد علي بن ابي طالب و علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ) نما ايمانه , و علاشانه , و ارتفعت مكانته , وكثر اعوانه , وظهر برهانه , حتى ادخله الخليفة المامون محل مهجته , واشركه في مملكته , وفوض اليه امر خلافته , وعقد له على رؤوس الاشهاد عقد نكاح ابنته , وكانت مناقبه علية , وصفاته ثنية , ونفسه الشريفة زكية هاشمية , وارومته النبوية كريمة ((١٤٣)) .

وقد عاش الامام الرضا (ع) في عصر ازدهرت فيه الحضارة الاسلامية , وكثرة الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم , وازداد التشكيك في الاصول والعقائد من قبل الملاحدة واحبار اليهود, وبطارقة النصارى , ومجسمة اهل الحديث .

وفي تلك الازمنة اتيحت له (ع) فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم , فظهر برهانه وعلا شانه يقف على ذلك من اطلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلا ((١٤٤)) .

ولاجل ايقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلي :

دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا (ع) فقال : روينا ان الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين , فقسم لموسى (ع) الكلام ولمحمد (ص) الرؤية .

فقال ابو الحسن (ع) : ((فمن المبلغ عن الله الى الثقلين الجن والانس : انه (لا تدركه الابصار), و(لا يحيطون به علما), و(ليس كمثله شي), اليس محمد (ص)))؟قال : بلى .

قال : ((فكيف يجيئ رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جا من عند الله و انه يدعوهم الى الله , بامر الله , فيقول :(لا تدركه الابصار), و(لا يحيطون به علما),و(ليس كمثله شي), ثم يقول : انا رايته بعيني واحطت به علما, وهو على صورة البشر اما تستحيون ؟ بهذا: ان يكون اتي عن الله بامرثم ياتي بخلافه من وجه آخر)).

فقال ابو قرة : فانه يقول :(ولقد رآه نزلة اخرى).

فقال ابوالحسن (ع): ((ان بعد هذه الاية ما يدل على ما راى حيث قال : (ما كذب الفؤادما راى) يقول : ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رات عيناه ثم اخبر بما راى فقال :(لقد راى من آيات ربه الكبرى) فايات الله غير الله , وقال : (لا يحيطون به علما)فاذا راته الابصار فقد احاط به العلم ووقعت المعرفة)).

فقال ابو قرة : فتكذب بالرواية ؟.

فقال ابو الحسن : ((اذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها, وما اجمع المسلمون عليه :انه لا يحاط به علما, ولا تدركه الابصار, وليس كمثله شي)) ((١٤٥)) .

و لما انتشر علم الامام و فضله , اخذت الافئدة و القلوب تشد اليه , و في الامة الاسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل , فكثر التفات المسلمين حول الامام الرضا (ع) و ازدادت اعدادهم , مما دفع بالخلافة العباسية الى محاولة سحب البساط من تحت ارجل الامام (ع) واعوانه قبل ان تستفحل الامورويصعب السيطرة على الموقف بعدها, فلجا المامون الى مناورة ذكية ما كرة استطاع من خلالها قلب تيار الاحداث

لصالحه , حيث استقدم الامام الرضا (ع)وجملة من وجوه الطالبيين الى مقر الحكومة آنذاك في مرو من مدينة رسول الله (ص) , معززين مكرمين حتى انزلوهم الى جوار مقر الخلافة ريثما يلتقي المامون بالامام علي بن موسى (ع).

وما كان من المامون الا ان بعث الى الامام الرضا (ع) قبل اجتماعه به : اني اريد ان اخلع نفسي من الخلافة و اقلدك اياها فما رايك ؟ فانكر الرضا (ع) هذا الامر وقال له : ((اعيذك بالله يا امير المؤمنين من هذا الكلام وان يسمع به احد)) فرد عليه الرسالة : فاذا ابيت ما عرضت عليك فلابد من ولاية العهد بعدي , فابى عليه الرضا ابا شديدا.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين ـ ليس في المجلس غيرهم ـوقال له : اني قد رايت ان اقلدك امر المسلمين وافسخ ما في رقبتي واضعه في رقبتك .

فقال له الرضا (ع) : ((الله الله يا امير المؤمنين انه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه)).

قال له : فاني موليك العهد من بعدي .

فقال له : ((اعفني من ذلك يا امير المؤمنين)).

فقال له المامون ـ كلاما فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال في كلامه ـ: ان عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة احدهم جدك امير المؤمنين (ع) وشرط فيمن خالف منهم ان يضرب عنقه , ولابد من قبولك ما اريد منك فاني لا اجد محيصاعنه .

فقال له الرضا (ع) : ((فاني اجيبك الى ما تريد من ولاية العهد على انني لا آمر , ولاانهى , ولا افتي , ولا اقضي , ولا اولي , ولا اعزل , ولا اغير شيئا مما هو قائم))فاجابه المامون الى ذلك كله ((١٤٦)) .

اقول : ليس بخاف على ذي لب مغزى اصرار المامون على تولية الامام الرضا (ع)لمنصب ولاية العهد, وتبدو هذه الصورة واضحة عند استقرا الاحداث التي سبقت او رافقت هذه المؤامرة المحكمة .

فعندما قدم هارون الرشيد ولده الامين رغم اقراره و معرفته بقوة شخصية المامون وذكائه قياسا باخيه المدلل الذي لا يشفع له الا مكانة امة زبيدة الحاكمة في قصرالرشيد, كان يعني ذلك ايذانا بقيام الفتنة التي حصلت من بعد وراح ضحيتهاعشرات الالوف وعلى راسهم الامين الذي وقف العباسيون الى صفه وقاتلوامعه , ولما انتقلت السلطة باكملها الى المامون المستقر في خراسان والمدعوم باهلها آنذاك , فقد واجه خطر نقمة اكثر العباسيين وعدائهم له وتحينهم الفرص السانحة للانقضاض عليه وعلى حكمه .

وفي الجانب الاخر كان الشيعة في كل مكان يرفضون ويناصبون الخلافة العباسية العدا نتيجة سؤ صنيعهم وظلمهم للعلويين ولال البيت خاصة , والذين يشكل شيعة خراسان جانبا مهما منهم .

وكان في اول سنة لخلافة المامون ان خرج السري بن منصور الشيباني المعروف بابي السرايا في الكوفة مناديا بالدعوة لمحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي (ع) حيث بايعه عامة الناس على ذلك .

وفي المدينة خرج محمد بن سليمان بن داود بن الحسن , وفي البصرة علي بن محمدبن جعفر بن علي بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد الغار, وفي اليمن ابراهيم بن موسى , ومن ثم فقد ظهر في المدينة ايضا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالافطس .

وهكذا فقد اندلعت في انحا الدولة الكثير من الثورات تناصرها الالاف من الناس الذين ذاقوا الامرين من حكم الطواغيت والظلمة .

وهكذا فقد ادرك المامون مدى تازم الموقف و تخلخل وضع الحكومة آنذاك , فلم يجد بدا من تظاهره امـام الراي العام الشيعي ـ الذي كان من اقوى التيارات المؤهلة للاطاحة بالخلافة العباسية دون اي شك ـ بتنازله عن الخلافة ـ التي قتل اخاه من اجلها ـ الى الامام الرضا (ع) امام الشيعة وقائدهم .

و هكـذا فـبـعـد قـبول علي بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ بولاية العهد قام بين يديه الخطبا والشعرا, فخفقت الالوية على راسه , وكان فيمن ورد عليه من الشعرادعبل بن علي الخزاعي , فلما دخـل عـليه قال : قلت قصيدة وجعلت على نفسي ان لا انشدها احدا قبلك , فامره بالجلوس حتى خف مجلسه ثم قال له : ((هاتها))فانشد قصيدته المعروفة :

مدا آيات خلت من تلاوة و منزل وحي مقفر العرصات .

لال رسول اللّه بالخيف من منى و بالركن و التعريف و الجمرات .

ديار علي و الحسين و جعفر و حمزة و السجاد ذي الثفنات .

ديار عفاها كل جون مبادر و لم تعف للايام و السنوات .

الى ان قال :

قبور بكوفان و اخرى بطيبة و اخرى بفخ نالها صلواتي .

و قبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن بالغرفات .

فاما المصمات التي لست بالغا مبالغها مني بكنه صفات .

الى حشر حتى يبعث اللّه قائما يفرج منها الهم و الكربات .

الى ان قال :

الم تر اني مذ ثلاثين حجة اروح و اغدو دائم الحسرات ؟.

ارى فيئهم في غيرهم متقسما و ايديهم من فيئهم صفرات .

اذا وتروا مدوا الى اهل وترهم اكفا من الاوتار منقبضات .

حتى اتى على آخرها, فلما فرغ من انشادها قام الرضا (ع) فدخل الى حجرته و انفذاليه صرة فيها مـائـة ديـنـار واعتذر اليه , فردها دعبل وقال : واللّه ما لهذا جئت , وانماجئت للسلام عليك والتبرك بـالنظر الى وجهك الميمون , واني لفي غنى , فان رايت ان تعطني شيئا من ثيابك للتبرك فهو احب الى فاعطاه الرضا جبة خز وردعليه الصرة ((١٤٧)) .

كان الامام في مرو يقصده البعيد و القريب من مختلف الطبقات و قد انتشر صيته في بقا الاررض , و عـظـم تـعلق المسلمين به , مما اثار مخاوف المامون و توجسه من ان ينفلت زمام الامر من يديه على عـكـس ما كان يتمناه , و ما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه , وقوى ذلك الظن ان المامون بعث اليه يوم الـعيد في ان يصلي بالناس ويخطب فيهم فاجابه الرضا (ع) : ((انك قد علمت ما كان بيني وبينك من الـشـروطفي دخول الامر, فاعفني في الصلاة بالناس)) فقال له المامون : انما اريد بذلك ان تطمئن قلوب الناس , ويعرفوا فضلك .

ولـم تزل الرسل تتردد بينهما في ذلك , فلما الخ عليه المامون , ارسل اليه الرضا: ((ان اعفيتني فهو احب الي وان لم تعفني خرجت كما خرج رسول اللّه (ص) واميرالمؤمنين (ع))) فقال له المامون : اخرج كيف شئت وامر القواد والحجاب والناس ان يبكروا الى باب الرضا (ع).

قال : فقعد الناس لابي الحسن (ع) في الطرقات و السطوح , و اجتمع النسا و الصبيان ينتظرون خروجه , فاغتسل ابوالحسن و لبس ثيابه و تعمم بعمامة بيضا من قطن , القى طرفا منها على صدره و طرفا بين كتفه , و مس شيئا من الطيب , واخذبيده عكازة وقال لمواليه : ((افعلوا مثل ما فعلت)) فخرجوا بين يديه وهو حاف قدشمر سراويله الى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة , فمشى قليلا ورفع راسه الى السما وكبر وكبر مواليه معه , فلما رآه الجند والقواد سقطوا كلهم عن الدواب الى الارض , ثم كبر و كبر الناس فخيل الى الناس ان السما و الحيطان تجاوبه , وتزعزعت مرو بالبكا و الضجيج لما راوا الامام الرضا (ع) و سمعوا تكبيره , فبلغ المامون ذلك فقال له الفضل بن سهل : ان بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل فتن به الناس , وخفنا كلنا على دمائنا, فانفذ اليه ان يرجع فارسل اليه من يطلب منه العودة , فرجع الرضا (ع) واختلف امر الناس في ذلك اليوم ((١٤٨)) .

وقد اشار الشاعر البحتري الى تلك القصة بابيات منها:

ذكروا بطلعتك النبي فهلووا لما طلعت من الصفوف و كبروا.

حتى انتهيت الى المصلى لابسا نور الهدى يبدو عليك فيظهر.

و مشيت مشية خاشع متواضع لله لا يزهى و لا يتكبر ((١٤٩)) .

ان هذا و امثاله , و بالاخص خروج اخ المامون زيد بن موسى بالبصرة على المامون ,لانه فوض ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا الذي كان في تصوره سيؤدي الى خروج الامر من بيت العباسيين , كل ذلك وغيره دفع المامون الى ان يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدس اليه السم على النحو المذكور في كتب التاريخ .

ومن لطيف ما نقل عن ابي نواس انه كان ينشد الشعر في كل جليل و طفيف و لم يمدح الامام , و لما عوتب على ذلك من قبل بعض اصحابه حيث قال له : مارايت اوقح منك , ما تركت خمرا ولا طردا ولا معنى الا قلت فيه شيئا, وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئا, فقال ابو نواس : والله ما تركت ذلك الا اعظاما له , وليس قدر مثلي ان يقول في مثله , ثم انشد بعد ساعة هذه الابيات :

قيل لي انت احسن الناس طرا في فنون من الكلام النبيه .

لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه .

فعلام تركت مدح ابن موسى و الخصال التي تجمعن فيه .

قلت لا استطيع مدح امام كان جبريل خادما لابيه .

وقال فيه (ع) ايضا:

مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا.

من لم يكن علويا حين تنسبه فما لم في قديم الدهر مفتخر.

الله لما برا خلقا فاتقنه صفاكم و اصطفاكم ايها البشر.

فانتم الملا الاعلى و عندكم علم الكتاب و ما جات به السور ((١٥٠)) .

ولما استشهد الامام (ع) دفن في مدينة طوس في قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد,وقبر الامام الرضا الان مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرك به .

فسلام الله عليه يوم ولد, ويوم استشهد, ويوم يبعث حيا.

الامام التاسع :

محمد بن علي بن موسى ـ عليهم السلام ـ الجواد

هو الامام التاسع من ائمة اهل البيت ـ عليهم السلام ـ , ولد بالمدينة المنورة في شهررمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة , فورث الشرف من آبائه واجداده ,واستسقت عروقه من منبع النبوة , وارتوت شجرته من منهل الرسالة .

قام بامر الولاية بعد شهادة والده الرضا (ع) عام ٢٠٣ ه, واستشهد ببغداد عام ٢٢٠ه,ادرك خلافة المامون واوائل خلافة المعتصم .

اما امامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة ((١٥١)) .

يلقب بالجواد والقانع والمرتضى والنجيب والتقي والزكي وغيرها من الالقاب الدالة على علو شانه وارتفاع منزلته .

اقول : لما توفي الرضا (ع) كان الامام الجواد في المدينة و قام بامر الامامة بوصية من ابيه و له من العمر تسع او عشر سنين , و كان المامون قد مارس معه نفس السياسة التي مارسها مع ابيه (ع) خلافا لاسلافه من العباسيين , حيث انهم كانوا يتعاملون مع ائمة اهل البيت بالقتل والسجن , وكان ذلك يزيد في قلوب الناس حبا لاهل البيت وبغضا للخلفا, ولما شعر المامون بذلك بدل ذلك الاسلوب باسلوب آخروهو استقدام اهل البيت من موطنهم الى دار الخلافة لكي يشرف على حركاتهم وسكانتهم , وقد استمرت هذه السياسة في حقهم الى الامام الحادي عشر كماستعرف .

وما كان من المامون عندما استقدم الامام الى مركز الخلافة , الا ان شغف به لما راى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والادب وكمال العقل ما لم يساوه فيه احد من مشايخ اهل الزمان , فزوجه ابنته ام الفضل وحملها معه الى المدينة , وكان حريصا على اكرامه وتعظيمه واجلال قدره , ونحن نكتفي في المقام بذكر امرين :

١ـ لما توفي الامام الرضا (ع) و قدم المامون بغداد, اتفق ان المامون خرج يومايتصيد, فاجتاز بطرف البلدة و صبيان يلعبون و محمد الجواد واقف عندهم , فلماأقبل المامون فر الصبيان و وقف محمد الجواد, و عمره آنذاك تسع سنين , فلماقرب منه الخليفة قال له : يا غلام ما منعك ان لا تفر كما فر اصحابك ؟ حسن انه لايفر منك من لا ذنب له , ولم يكن بالطريق ضيق فانتحي)) فاعجب المامون كلامه وحسن صورته فقال له : ما اسمك يا غلام ؟ قال : ((محمد بن علي الرضا (ع)))فترحم على ابيه ((١٥٢)) .

٢ـ لما اراد المامون تزويج ابنته ام الفضل من الامام الجواد ثقل ذلك على العباسيين و قالوا له : ننشدك الله ان تقيم على هذا الامر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فانا نخاف ان تخرج به عنا امرا قد ملكناه الله وما كان عليه الخلفاالراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم , وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا حتى كفى الله المهم من ذلك ـ الى ان قالوا ـ: ان هذا الفتى وان راقك منه هديه فانه صبي لا معرفة له فامهله حتى يتادب ويتفقه في الدين ثم اصنع ما ترى .

قال المامون : ويحكم اني اعرف بهذا الفتى منكم , وان اهل هذا البيت علمهم من الله تعالى والهامه , ولم يزل آباؤه اغنيا في علم الدين والادب من الرعايا الناقصة عن حد الكمال , فان شئتم فامتحنوا ابا جعفر حتى يتبين لكم ما وصفت لكم من حاله قالوا: رضينا.

فخرجوا واتفق رايهم على ان يحيى بن اكثم يساله مسالة وهو قاضي الزمان فاجابهم المامون على ذلك .

واجتمع القوم في يوم اتفقوا عليه , وامر المامون ان يفرش لابي جعفر دست ففعل ذلك , وجلس يحيى بن اكثم بين يديه , وقام الناس في مراتبهم , والمامون جالس في دست متصل بدست ابي جعفر (ع).

فقال يحيى بن اكثم للمامون : اتاذن لي يا امير المؤمنين ان اسال ابا جعفر؟.

فقال : استاذنه في ذلك .

فاقبل عليه يحيى وقال : اتاذن لي جعلت فداك في مسالة ؟.

فقال : ((سل ان شئت)).

فقال : ما تقول ـ جعلت فداك ـ في محرم قتل صيدا؟.

فقال ابو جعفر (ع): ((في حل او حرم ؟ عالما كان المحرم او جاهلا؟ قتله عمدا اوخطا؟ حرا كان المحرم او عبدا؟ صغيرا كان او كبيرا؟ مبتدئا كان بالقتل او معيدا؟من ذوات الطير كان الصيد ام غيرها؟ من صغار الصيد ام كبارها؟ مصرا كان على ما فعل او نادما؟ ليلا كان قتله للصيد ام نهارا؟ محرما كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرما؟)).

فتحير يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع , وتلجلج حتى عرف اهل المجلس امره .

فقال المامون : الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الراي , ثم قال لابي جعفر(ع) : اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وانا مزوجك ام الفضل ابنتي ((١٥٣)) .

ولما تم الزواج قال المامون لابي جعفر: ان رايت ـ جعلت فداك ـ ان تذكر الجواب فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده .

فقال ابو جعفر (ع): ((ان المحرم اذا قتل صيدا في الحل و كان الصيد من ذوات الطيرو كان من كبارها فعليه شاة , فان اصابه في الحرم فعليه الجزا مضافا, فان قتل فرخا في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن , و اذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ , وان كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة , وان كان نعامة فعليه بدنة , وان كان ظبيا فعليه شاة , فان قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزامضاعفا هديا بالغ الكعبة , واذا اصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان ,احرامه بالحج نحره بمنى , و ان كان احرامه بالعمرة نحره بمكة , وجزا الصيدعلى العالم والجاهل سوا, وفي العمد له الماثم وهو موضوع عنه في الخطا,والكفارة على الحر في نفسه , وعلى السيد في عبده , والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة , والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الاخرة , والمصر يجب عليه العقاب في الاخرة)).

فقال له المامون : احسنت يا ابا جعفر ((١٥٤)) .

رجوع الجواد الى المدينة :

ثم ان ابا جعفر بعد ان اقام مدة في بغداد هاجر الى المدينة و سكن بها مدة الى ان توفي المامون و بويع المعتصم , و لم يزل المعتصم متفكرا في ابي جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله و وثوبه على الخلافة , فلاجل ذلك مارس نفس السياسة التي مارسها اخوه المامون من قبله فاستقدم الامام الجواد (ع) الى بغداد سنة ٢٢٠ ((١٥٥)) وبقي فيها (ع) حتى توفي في آخر ذي القعدة من تلك السنة , وله من العمر ٢٥ سنة واشهر ودفن عند جده موسى بن جعفر في مقابر قريش .

وقال ابن شهر آشوب : انه قبض مسموما ((١٥٦)) .

فسلام الله على امامنا الجواد يوم ولد, ويوم مات او استشهد بالسم , ويوم يبعث حيا.

الامام العاشر:

ابوالحسن علي بن محمد بن على ـ عليهم السلام ـ الهادى

الامام علي بن محمد الهادي , هو الامام العاشر, والنور الزاهر, ولد عام ٢١٢ ه,وتوفي بسامرا سنة ٢٥٤ه, وهو من بيت الرسالة والامامة , ومقر الوصاية والخلافة , وثمرة من شجرة النبوة .

قام (ع) بامر الامامة بعد والده الامام الجواد (ع) , وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز, وله مع هؤلا قضايا لا يتسع المقام لذكرها.

قال ابن شهر آشوب : كان اطيب الناس مهجة , واصدقهم لهجة , واملحهم من قريب ,واكملهم من بعيد, اذا صمت علته هيبة الوقار, واذا تكلم سماه البها ((١٥٧)) .

وقال عماد الدين الحنبلي : كان فقيها اماما متعبدا ((١٥٨)) .

وقال المفيد: تقلد الامامة بعد ابي جعفر ابنه ابو الحسن علي بن محمد, وقداجتمعت فيه خصال الامامة وثبت النص عليه بالامامة , والاشارة اليه من ابيه بالخلافة ((١٥٩)) .

وقد تضافرت النصوص على امامته عن طرقنا, فمن اراد فليرجع الى الكافي واثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدة لذلك ((١٦٠)) .

وقد مارس المتوكل نفس الاسلوب الخبيث الذي رسمه المامون ثم اخوه المعتصم من اشخاص ائمة اهل البيت من موطنهم واجبارهم على الاقامة في مقر الخلافة ,وجعل العيون والحراس عليهم حتى يطلعوا على دقيق حياتهم وجليلها.

وكان المتوكل من اخبث الخلفا العباسيين , واشدهم عدا لعلي , فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة ومكانته هناك , وميل الناس اليه , فخاف منه ((١٦١)) , فدعى يحيى بن هرثمة وقال : اذهب الى المدينة , وانظر في حاله واشخصه الينا.

قال يحيى : فذهبت الى المدينة , فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجا عظيما ما سمع الناس بمثله , خوفا على علي الهادي , وقامت الدنيا على ساق , لانه كان محسناليهم , ملازما للمسجد لم يكن عنده ميل الى الدنيا.

قال يحيي : فجعلت اسكنهم و احلف لهم اني لم اؤمر فيه بمكروه , و انه لا باس عليه ,ثم فتشت منزله فلم اجد فيه الا مصاحف و ادعية و كتب العلم , فعظم في عيني ,و توليت خدمته بنفسي , و احسنت عشرته , فلما قدمت به بغداد, بدات باسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان واليا على بغداد, فقال لي : يا يحيى ان هذاالرجل قد ولده رسول الله , والمتوكل من تعلم , فان حرضته عليه قتله , كان رسول الله خصمك يوم القيامة فقلت له : والله ما وقعت منه الا على كل امرجميل .

ثم صرت به الى ((سر من راى)) فبدات ب((وصيف)) التركي , فاخبرته بوصوله , فقال :والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك , فلما دخلت على المتوكل سالني عنه فاخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته , واني فتشت داره ولم اجد فيها الاالمصاحف وكتب العلم , وان اهل المدينة خافوا عليه , فاكرمه المتوكل واحسن جائزته واجزل بره , وانزله معه سامرا ((١٦٢)) .

ومع ان الامام كان يعيش في نفس البلد الذي يسكن فيه المتوكل , و كانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب , الا انه وشي به الى المتوكل بان في منزله كتبا وسلاحا من شيعته من اهل قم , و انه عازم بالوثوب بالدولة , فبعث اليه جماعة من من الاتراك , فهاجموا داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئا, ووجدوه في بيت مغلق عليه , وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى , وهو متوجه الى الله تعالى يتلو آيات من القرآن , فحمل على حاله تلك الى المتوكل وقالوا له : لم نجد في بيته شيئا, ووجدناه يقرا القرآن مستقبل القبلة , و كان المتوكل جالسا في مجلس الشراب فادخل عليه و الكاس في يده , فلما رآه هابه وعظمه واجلسه الى جانبه , وناوله الكاس التي كانت في يده , فقال الامام (ع) : ((والله ما خامر لحمي ودمي قط, فاعفني)) فاعفاه , فقال له : انشدني شعرا, فقال علي : ((انا قليل الرواية للشعر)) فقال : لابد, فانشده وهو جالس عنده :

((باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل .

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم و اسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا.

ناداهم صارخ من بعد دفنهم اين الاسرة و التيجان و الحلل .

آين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار و الكلل .

فافصح القبر عنهم حين سالهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل ((١٦٣)) .

قد طال ما اكلوا دهرا و ما شربوا فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا)).

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون , ورفع الى علي اربعة آلاف دينار ثم رده الى منزله مكرما ((١٦٤)) .

آثاره العلمية :

روى الحفاظ و والرواة عن الامام احاديث كثيرة في شتى المجالات من العقيدة والشريعة , وقد جمعها المحدثون في كتبهم , وبثها الحر العاملي في كتابه الموسوم ب ((وسائل الشيعة)) على ابواب مختلفة , ومما نلفت اليه النظر ان للامام (ع) بعض الرسائل , وهي :

١ـ رسالته في الرد على الجبر والتفويض واثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين ,اوردها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحراني في كتابه الموسوم ب ((تحف العقول)) ((١٦٥)) .

٢ـاجوبته ليحيى بن اكثم عن مسائله , وهذه ايضا اوردها الحراني ايضا في تحف العقول .

٣ـقطعة من احكام الدين , ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب .

ولاجل ايقاف القارئ على نمط خاص من تفسير الامام ناتي بنموذج من هذاالتفسير:

قدم الى المتوكل رجل نصراني فجر بامراة مسلمة , فاراد ان يقيم عليه الحد, فاسلم ,فقال يحيى بن اكثم : الايمان يمحو ما قبله , قال بعضهم : يضرب ثلاثة حدود,فكتب المتوكل الى الامام الهادي يساله , فلما قرا الكتاب , كتب : ((يضرب حتى يموت)) فانكر الفقها ذلك , فكتب اليه يساله عن العلة , فكتب : ((بسم الله الرحمن الرحيم (فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده و خسر هنالك الكافرون))) ((١٦٦)) , فامر به المتوكل فضرب حتى مات ((١٦٧)) .

وفاته :

توفي ابوالحسن (ع) في رجب سنة اربع و خمسين و مائتين و دفن في داره بسر من راى , وخلف من الولد ابا محمد الحسن ابنه وهو الامام من بعده , والحسين ,ومحمد, وجعفر, وابنته عائشة , وكان مقامه بسر من راى الى ان قبض عشر سنين واشهر, وتوفي وسنه يومئذ على ما قدمناه احدى واربعون سنة ((١٦٨)) .

و قد ذكر المسعودي في اثبات الوصية ((تفصيل كيفية وفاته و تشييعه و ايصا الامامة لابنه ابي محمد العسكري)) فمن اراد فليراجع ((١٦٩)) .

الامام الحادي عشر.

ابومحمد الحسن بن علي بن محمد ـ عليهما السلام ـ العسكرى

ابو محمد, الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد, احد ائمة اهل البيت , و الامام الحادي عشر, الملقب بالعسكري , ولد عام ٢٣٢ ه ((١٧٠)) , و قال الخطيب في تاريخه ((١٧١)) و ابن الجوزي في تذكرته ((١٧٢)) : انه ولد عام ٢٣١ ه, و اشخص بشخوص والده الى العراق سنة ٢٣٦ ه, وله من العمر اربع سنين وعدة شهور,وقام بامر الامامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده , وقد اجتمعت فيه خصال الفضل , وبرز تقدمه على كافة اهل العصر, واشتهر بكمال الفعل والعلم والزهدوالشجاعة ((١٧٣)) , وقد روى عنه لفيف من الفقها والمحدثين يربو عددهم على١٥٠ ((١٧٤)) شخصا وتوفي عام ٢٦٠ ه, ودفن في داره التي دفن فيها ابوه بسامرا.

وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق , وكان قد اخفى مولده وستر امره لصعوبة الوقت ,وشدة طلب السلطة , واجتهادها في البحث عن امره , ولكنه سبحانه حفظه من شرار اعدائه كما حفظ سائر اوليائه كابراهيم الخليل وموسى الكليم , فقد خابت السلطة في طلبهما والاعتدا عليهما.

وقد اشتهر الامام بالعسكري لانه منسوب الى عسكر, ويراد بها سر من راى التي بناهاالمعتصم , وانتقل اليها بعسكره , حيث اشخص المتوكل اباه عليا اليها واقام بهاعشرين سنة وتسعة اشهر فنسب هو وولده اليها ((١٧٥)) .

وقال سبط ابن الجوزي : كان عالما ثقة روى الحديث عن ابيه عن جده ومن جملة مسانيده حديث في الخمر عزيز.

ثم ذكر الحديث عن جده ابي الفرج الجوزي فى كتابه المسمى ب ((تحريم الخمر)), ثم ساق سند الحديث الى الحسن العسكري و هو يسند الحديث الى علي بن ابي طالب وهو يقول : ((اشهد بالله لقد سمعت محمدا رسول الله (ص) يقول : اشهدبالله لقد سمعت جبرائيل يقول : اشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول : اشهدبالله لقد سمعت اسرافيل يقول :

اشهد بالله على اللوح المحفوظ انه قال : سمعت الله يقول : شارب الخمر كعابدالوثن)) ((١٧٦)) .

ولقد وقع سبط ابن الجوزي في الاشتباه عندما توهم ان اسناد الامام (ع) هذاالحديث الى رسول الله (ص) مختص بهذا المورد, و لكن الحقيقة غير ذلك , فان احاديث ائمة اهل البيت مروية كلها عن النبي الاكرم (ص), فهم لا يروون في مجال الفقه والتفسير والاخلاق والدعا الا ما وصل اليهم عن النبي الاكرم (ص)عن طريق آبائهم واجدادهم , ومروياتهم لا تعبر عن آرائهم الشخصية , فمن قال بذلك وتصور كونهم مجتهدين

مستنبطين , فقد قاسهم بالاخرين ممن يعتمدون على آرائهم الشخصية , و هو في قياسه خاطئ , فهم منذ نعومة اظفارهم الى ان لبوا دعوة ربهم لم يختلفوا الى اندية الدروس , ولم يحضروا مجلس احد من العلما, ولا تعلموا شيئا من غير آبائهم , فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول الله (ص) وراثة غيبية لا يعلم كنهها الا الله سبحانه والراسخون في العلم .

و هذا الامام جعفر الصادق (ع) يبين هذا الامر بوضوح لا لبس فيه , حيث يقول : ((ان حديثي حديث ابي , وحديث ابي حديث جدي علي بن ابي طالب اميرالمؤمنين , وحديث علي امير المؤمنين حديث رسول الله (ص) , وحديث رسول الله قول الله عز وجل)) ((١٧٧)) .

و روى حفص بن البختري , قال : قلت لابي عبد الله الصادق (ع) : اسمع الحديث منك فلا ادري منك سماعه او من ابيك , فقال : ((ما سمعته مني فاروه عن ابي , وماسمعته مني فاروه عن رسول الله (ص))) ((١٧٨)) .

فائمة المسلمين على حد قول القائل :

ووال اناسا نقلهم وحديثهم ـــ روى جدنا عن جبرئيل عن الباري .

ولقد عاتب الامام الباقر (ع) سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا ياخذان الحديث من الناس ولا يهتمان باحاديث اهل البيت , فقال لهما: ((شرقا وغربا فلاتجدان علما صحيحا الا شيئا خرج من عندنا اهل البيت)).

ورغم ان الخلفا العباسيين قد وضعوا الامام تحت الاقامة الجبرية و جعلوا عليه عيونا وجواسيسا, ولكن روى عنه الحفاظ والرواة احاديثا جمة في شتى المجالات , بل يروى ان الامام (ع) , ورغم كل ذلك كان على اتصال مستمربالشيعة الذين كان عددهم يقدر بعشرات الملايين , وحيث كان لا مرجع لهم سوى الامام (ع).

كما ان الكلام عن اخلاقه واطواره , ومناقبه وفضائله , وكرمه وسخائه , وهيبته وعظمته , ومجابهته للخلفا العباسيين بكل جراة وعزة , وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والاداب , يحتاج الى تاليف مفرد وكفانا في ذلك علماؤنا الابرار, بيد انانشير هنا الى لمحة من علومه .

١ـ لقد شغلت الحروف المقطعة بال المفسرين فضربوا يمينا وشمالا, وقد انهى الرازي اقوالهم فيها في اوائل تفسيره الكبير الى قرابة عشرين قولا, ولكن الامام (ع) عالج تلك المعضلة باحسن الوجوه واقربها للطبع , فقال : ((كذبت قريش واليهود بالقرآن , وقالوا سحر مبين تقوله .

فقال الله : (الم ذلك الكتاب) اي : يا محمد, هذا الكتاب الذي نزلناه عليك هوالحروف المقطعة التي منها ((الف)), ((لام)), ((ميم)) و هو بلغتكم و حروف هجائكم ,فاتوا بمثله ان كنتم صادقين , واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم , ثم بين انه لايقدرون عليه بقوله : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذاالقرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ((١٧٩)))) ((١٨٠)) .

وقد روي هذا المعنى عن ابيه الامام الهادي (ع) ((١٨١)) .

٢ـ كان اهل الشغب و الجدل يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون : انكم تقولون في صلواتكم :(اهدنا الصراط المستقيم) او لستم فيه ؟ فما معنى هذه الدعوة ؟ او انكم متنكبون عنه فتدعون ليهديكم اليه ؟ ففسر الامام الاية قاطعالشغبهم فقال : ((ادم لنا توفيقك الذي به اطعناك في ماضي ايامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل اعمالنا)).

ثم فسر الصراط بقوله : ((الصراط المستقيم هو: صراطان : صراط في الدنيا و صراط في الاخرة , اما الاول فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير, واستقام فلم يعدل الى شي من الباطل , واما الطريق الاخر فهو طريق المؤمنين الى الجنة الذي هومستقيم , لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة)) ((١٨٢)) .

وكان قد استفحل امر الغلاة في عصر الامام العسكري ونسبوا الى الائمة الهداة اموراهم عنها برا, ولاجل ذلك يركز الامام على ان الصراط المستقيم لكل مسلم هوالتجنب عن الغلو والتقصير.

٣ـ ربما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه :(صراط الذين انعمت عليهم) ويتصور ان المراد من النعمة هو المال والاولاد وصحة البدن , وان كان كل هذا نعمة من الله ,ولكن المراد من الاية بقرينة قوله : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) هو نعمة التوفيق والهداية .

ولاجل ذلك نرى ان الامام يفسر هذا الامام بقوله : ((قولوا اهدنا صراط الذين انعمت عليهم بالتوفيق لدينك و طاعتك و هم الذين قال الله عزوجل : (و من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداوالصالحين وحسن اولئك رفيقا) ثم قال : ليس هؤلا المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وان كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة)) ((١٨٣)) .

٤ـ لقد تفشت آنذاك فكرة عدم علمه سبحانه بالاشيا قبل ان تخلق , تاثرا بتصورات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان , فساله محمد بن صالح عن قول الله : (يمحوا الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب) ((١٨٤)) فقال : ((هل يمحوالا ما كان وهل يثبت الا ما لم يكن))؟ فقلت في نفسي : هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطي : انه لا يعلم الشي حتى يكون , فنظر الي شزرا, وقال :

((تعالى الله الجبار العالم بالشي قبل كونه , الخالق اذ لا مخلوق , والرب اذ لا مربوب ,والقادر قبل المقدور عليه)) ((١٨٥)) .

حصيلة البحث :

هؤلاهم ائمة الشيعة وقادتهم بل ائمة المسلمين جميعا, وكيف لا يكونون كذلك ؟وقد ترك رسول الله بعد رحلته الثقلين وحث الامة على التمسك بهما وقال : ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوابعدي ابدا)) ((١٨٦)) .

ولكن المؤسف ان اهل السنة و الجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على اقوال ائمة اهل البيت و هم قرنا القرآن و اعداله و الثقل الاخر من الثقلين , و انمااستعانوا في تفسيره باناس لا يبلغون شاؤهم و لا يشقون غبارهم , نظرا مجاهدبن جبر (المتوفى عام ١٠٤ ه), وعكرمة البربري (المتوفى عام ١٠٤ ه), وطاووس بن كيسان اليماني (المتوفى عام١٠٦ ه), وعطا بن ابي رباح (المتوفى عام ١١٤ ه), ومحمد بن كعب القرظي (المتوفى عام ١١٨ ه), الى غير ذلك من اناس لايبلغون في الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه ائمة اهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ.

فالاسلام عقيدة و شريعة , و النجاة عن الضلال ـ حسب مفاد حديث الثقلين هوالرجوع اليهما و اما غيرهما فان رجع اليهما فنعم المطلوب والا فلا قيمة له ـ اماالصحابة والتابعون , فلا يعتد برايهم الا اذا كان ماخوذا عن كتابه سبحانه او سنة نبيه , وليس حديث ائمة اهل البيت الا اشراقا خالدا لحديث جدهم الاكرم وسنته .

الامام الثاني عشر:

الامام المهدي بن الحسن بن على ـ عليهم السلام ـ المنتظر.

هو ابوالقاسم محمد بن الحسن العسكري الحجة , الخلف الصالح , ولد (ع) بسر من راى ليلة النصف من شعبان , سنة خمس و خمسين و مائتين , و له من العمر عندوفاة ابيه خمس سنين , آتاه الله الحكم صبيا كما حدث ليحيى , حيث قال سبحانه : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) ((١٨٧)) , وجعله اماماوهو طفل , كما جعل المسيح نبيا وهو رضيع قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه : (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) ((١٨٨)) .

اتفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لازالة الجهل و الظلم , و الجور, ونشر اعلام العدل و اعلا كلمة الحق , و اظهار الدين كله و لو كره المشركون , فهوباذن الله ينجي العالم من ذل العبودية لغير الله , و يلغي الاخلاق والعادات الذميمة , ويبطل القوانين الكافرة التي سنتها الاهوا, ويقطع اواصر التعصبات

القومية والعنصرية , ويمحي اسباب العدا والبغضا التي صارت سببا لاختلاف الامة وافتراق الكلمة , ويحقق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله:

١ـ (وعدالله الذين آمنوا منكم و عملواالصالحات ليستخلفنهم في الارض كمااستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) ((١٨٩)) .

٢ـ (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) ((١٩٠)) .

٣ـ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) ((١٩١)) .

وتشهد الامة بعد ظهوره (ع) عصرا ذهبيا لا يبقى فيه على الارض بيت الا ودخلته كلمة الاسلام , ولا تبقى قرية الا وينادى فيها بشهادة ((لا اله الا الله)) بكرة وعشيا.

اقول : لقد تواترت النصوص الصحيحة و الاخبار المروية من طريق اهل السنة والشيعة المؤكدة على امامة اهل البيت (ع), و المشيرة صراحة الى ان عددهم كعدد نقبا بني اسرائيل , و ان آخر هؤلا الائمة هو الذي يملا الارض ـ في عهده ـعدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا, وان احاديث الامام الثاني عشر الموسوم بالمهدي المنتظر قد رواها جملة من محدثي السنة في صحاحهم المختلفة كامثال الترمذي (المتوفى عام ٢٩٧ه), وابي داود (المتوفى عام ٢٧٥ ه), وابن ماجة (المتوفى عام ٢٧٥ ه) وغيرهم , حيث اسندوا رواياتهم هذه الى جملة من اهل بيت رسول الله (ص) وصحابته , امثال علي بن ابي طالب (ع) , وعبد الله بن عباس , وعبد الله بن عمر , وام سلمة زوجة الرسول الاكرم (ص) , وابي سعيدالخدري , وابي هريرة وغيرهم :

١ـ روى الامام احمد في مسنده عن رسول الله (ص) : ((لو لم يبق من الدهر الا يوم واحد لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملاها عدلا كما ملئت جورا)) ((١٩٢)) .

٢ـ اخرج ابو داود عن عبد الله بن مسعود: ان رسول الله (ص) قال : ((لا تنقضي الدنياحتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)) ((١٩٣)) .

٣ـ اخرج ابو داود عن ام سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله (ص)يقول : ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة)) ((١٩٤)) .

٤ـاخرج الترمذي عن ابن مسعود: ان رسول الله (ص) قال : ((يلي رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)) ((١٩٥)) .

الى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي بلغت اعلى مراتب التواتر على وجه يقول الدكتور عبد الباقي : ان المشكلة ليست مشكلة حديث او حديثين او راو اوراويين , انها مجموعة من الاحاديث والاثار تبلغ الثمانين تقريبا, اجتمع على تناقلها مئات الروات واكثر من صاحب كتاب صحيح ((١٩٦)) .

هذا هو المهدي الذي اتفق المحدثون و المتكلمون عليه , و انما الاختلاف بين الشيعة و السنة في ولادته , فالشيعة ذهبت الى ان المهدي الموعود هو الامام الثاني عشر الذي ولد بسامرا عام ٢٥٥ ه واختفى بعد وفاة ابيه عام ٢٦٠ ه, وقدتضافرت عليه النصوص من آبائه , على وجه ما ترك شكا ولا شبهة ((١٩٧)) ووافقتهم جماعة من علما اهل السنة , وقالوا بانه ولد وانه محمد بن الحسن العسكري .

نعم كثير منهم قالوا: بانه سيولد في آخر الزمان , وبما ان اهل البيت ادرى بما في البيت , فمن رجع الى روايات ائمة اهل البيت في كتبهم يظهر له الحق , وان المولود للامام العسكري هو المهدي الموعود.

وممن وافق من علما اهل السنة بان وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود:

١ـ كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد القرشي الشافعي في كتابه ((مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)) وقد اثنى عليه من ترجم له مثل اليافعي في ((مرآة الجنان))في حوادث سنة ٦٥٠ ه.

قال ـ بعد سرد اسمه و نسبه ـ: ((المهدي الحجة , الخلف الصالح المنتظر, فاما مولده فبسر من راى , و اما نسبه ابا فابوه الحسن الخالص)) ثم اورد عدة اخبار واردة في المهدي من طريق ابي داود, و الترمذي و مسلم , و البخاري وغيرهم , ثم ذكربعض الاعتراضات بالنسبة الى احواله (ع) من حيث الغيبة وطول العمر وغيرذلك , واجاب عنها جميعا, ثم قال رادا عل تاويل البعض لهذه الروايات بانها لاتدل على انه محمد بن الحسن العسكري قائلا: بان الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجودة في محمد بن الحسن العسكري علمنا انه هو المهدي .

٢ـابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابيه : ((البيان في اخبار صاحب الزمان)) و ((كفاية الطالب في مناقب علي ابن ابي طالب)).

٣ـ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي في كتابه : ((الفصول المهمة في معرفة الائمة)).

٤ـ الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي في ((تذكرة الخواص)).

الى غير ذلك من علما و حفاظ ذكر اسماهم و كلماتهم السيد الامين في اعيان الشيعة وانهاها الى ثلاثة عشر, ثم قال : والقائلون بوجود المهدي من علما اهل السنة كثيرون , وفيما ذكرناه منهم كفاية , ومن اراد الاستقصا فليرجع الى كتابنا((البرهان على وجود صاحب الزمان)) ورسالة ((كشف الاستار)) للشيخ حسين النوري ((١٩٨)) .

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدي في عصر الائمة الهداة امرا مسلما , حتى ان دعبل الخزاعي ذكره في قصيدته التي انشدها لعلي بن موسى الرضا (ع) فقال :

خروج امام لا محالة قائم يقوم على اسم الله و البركات .

يميز فينا كل حق و باطل و يجزي على النعما و النقمات .

ولما وصل دعبل الى هذين البيتين بكى الرضا (ع) بكا شديدا ثم رفع راسه , فقال له : ((يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين , فهل تدري من هذاالامام ومتى يقوم))؟ فقلت : لا يا مولاي , الا اني سمعت بخروج امام منكم يطهرالارض من الفساد, ويملاها عدلا كما ملئت جورا.

فقال : ((يا دعبل , الامام بعدي محمد ابني (الجواد) و بعد محمد ابنه علي (الهادي),و بعد علي ابنه الحسن (العسكري), و بعد الحسن ابنه الحجة القائم , المنتظر في غيبته , المطاع في ظهوره , لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاها عدلا كما ملئت جورا, واما متى ؟ فاخبار عن الوقت , فقدحدثني ابي عن ابيه عن آبائه عن علي (ع) : ان النبي (ص) قيل له : يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ؟ فقال : مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها الا هو,ثقلت في السماوات والارض لا تاتيكم الابغتة ((١٩٩)) .

ثم ان للمهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ غيبتين صغرى و كبرى , كما جات بذلك الاخبار عن ائمة اهل البيت , اما الغيبة الصغرى فمن ابتدا امامته الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفرا وعدم نصب غيرهم , وقد مات السفيرالاخير علي بن محمد السمري عام ٣٢٩ ه, ففي هذه الفترة كان السفرا يرونه وربما رآه غيرهم ويصلون الى خدمته وتخرج على ايديهم توقيعات منه الى شيعته في امور شتى .

واما الغيبة الكبرى فهي بعد الاولى الى ان يقوم باذن الله تعالى .

واما من راى الحجة في زمان ابيه وفي الغيبة الصغرى وحتى في الكبرى , فحدث عنه ولا حرج , وقد الفت في ذلك كتب احسنها واجملها: ((كمال الدين)) للصدوق , و((الغيبة)) للشيخ الطوسي .

فنذكر هنا بعض من رآه في صباه :

في من راى المهدي في بيت الامام العسكري :.

ان هناك لفيفا من اصحاب الامام العسكري راوا الامام المهدي في ايام صباه , ووالده بعد حي وها نحن نذكر من الكثير شيئا قليلا حتى لا يرتاب المنصف في ولادته :

١ـ روى يعقوب بن منقوش قال : دخلت على ابي محمد الحسن بن علي عليهماالسلام ـ و هو جالس على دكان في الدار, و عن يمينه بيت عليه سترمسبل , فقلت له : من صاحب هذا الامر؟ فقال : ارفع الستر فرفعته فخرج الينا غلام خماسي له عشرة او ثمان او نحو ذلك , واضح الجبين ابيض الوجه , دري المقلتين , شثن الكفين , معطوف الركبتين , في خده الايمن خال , وفي راسه ذؤابه , فجلس على فخذ ابي محمد ثم قال لي : هذا صاحبكم ((٢٠٠)) .

٢ـ روى ابراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال : لما هم توالي عمر بن عوف بقتلي غلب علي خوف عظيم , فودعت اهلي و توجهت الى دار ابي محمدلاودعه , و كنت اردت الهرب , فلما دخلت عليه رايت غلاما جالسا في جنبه وكان وجهه مضيئا كالقمر ليلة البدر, فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسيني ماكنت فيه , فقال : يا ابراهيم لا تهرب فان الله سيكفيك شره , فازداد تحيري , فقلت لابي محمد: يا سيدي يا بن رسول الله (ص) من هذا وقد اخبرني بما كان في ضميري ؟ فقال : هو ابني وخليفتي من بعدي ((٢٠١)) .

٣ـ روى احمد بن اسحاق قال : قلت لابي محمد الحسن العسكري يا ابن رسول الله فمن الامام و الخليفة بعدك ؟ فنهض (ع) مسرعا فدخل البيت ثم خرج و علي عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة البدر, من ابنا ثلاث سنين , فقال : يا احمد بن اسحاق , لولا كرامتك على الله عزوجل و على حججه ما عرضت عليك ابني هذا, انه سمي رسول الله (ص) وكنيه , الذي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ((٢٠٢)) .

٤ـ روى ابوالحسين الحسن بن وجنا قال : حدثني ابي عن جده انه كان في دارالحسن بن علي ـ عليهماالسلام ـ فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن علي الكذاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همتي في مولاي القائم (ع) , قال : فاذا انا به (ع)قد اقبل وخرج عليهم من الباب وانا انظر اليه وهو (ع) ابن ست سنين فلم يره احد حتى غاب ((٢٠٣)) .

٥ـ روى عبدالله بن جعفر الحميري قال : سالت ابا عمر عثمان بن سعيد العمري (احد وكلا الامام ايام غيبته) فقلت له : هل انت رايت الخلف من بعد ابي محمد(ع) ؟ فقال : اي والله , ورقبته مثل ذا ـ اوما بيده ـ فقلت له : فبقيت واحدة ؟ فقال لي : هات قلت : الاسم ؟ قال : محرم عليكم ان تسالوا عن ذلك ((٢٠٤)) .

٦ـ روت حكيمة بنت الامام محمد الجواد قالت : بعث الي ابو محمد الحسن بن علي ـ عليهماالسلام ـ فقال : يا عمة اجعلي افطارك هذه الليلة عندنا, فانها ليلة النصف من شعبان , فان الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة , وهو حجته في ارضه ثم ان حكيمة عمة الامام العسكري تتحدث عن ولادة الامام المهدي وتقول : فضممته الى فاذا انا به نظيف متنظف , فصاح بي ابو محمد (ع) : هلم الي ابني يا عمة , فجئت اليه ((٢٠٥)) .

٧ـ روى كامل بن ابراهيم فقال : دخلت على سيدي ابي محمد (ع), اذ نظرت اليه على ثياب بيض ناعمة فقلت في نفسي : ولي الله و حجته يلبس الناعم من الثياب , و يامرنا بمواساة اخواننا و ينهانا عن لبس مثله , فقال الامام : يا كامل وحسر عن ذراعيه , فاذا مسح اسود خشن , فقال : هذاالله وهذا لكم , فجات الريح , فكشفت طرفه , فاذا انا بفتى كانه فلقة قمر من ابنا اربع سنين او مثلها,فقال لي : يا كامل بن ابراهيم فاقشعررت من ذلك , والهمت ان قلت : لبيك ياسيدي فقال : جئت الى ولي الله و حجته تريد ان تسال : لا يدخل الجنة الا من عرف معرفتك , و عرف مقالتك الى ان قال : فنظر الي ابو محمد وتبسم وقال : ياكامل بن ابراهيم , ما جلوسك وقد ابانك المهدي والحجة من بعدي بما كان في نفسك وجئت تسالني عنه قال : فنهضت وقد اخذت الجواب الذي اسررته في نفسي من الامام المهدي ولم القه بعد ذلك ((٢٠٦)) .

هذه نماذج في من راى الامام المهدي بعد ولادته , وقبل غيبته ذكرناه ولو اردناالاستقصا لطال بنا المقام في المقال .

اسئلة مهمة حول المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ:

ان القول بان الامام المهدي لا يزال حيا يرزق منذ ولادته عام ٢٥٥ هجرية الى الان ,وانه غائب سوف يظهر بامر من الله سبحانه , اثار اسئلة حول حياته وامامته , نذكررؤوسها:

١ـكيف يكون اماما وهو غائب , وما الفائدة المرتقبة منه في غيبته ؟.

٢ـ لماذا غاب ؟.

٣ـكيف يمكن ان يعيش انسان هذه المدة الطويلة ؟.

٤ـ ما هي اشراط وعلائم ظهوره ؟.

هذه , اسئلة اثيرت حول الامام المهدي منذ ان غاب , و كلما طالت غيبتة اشتدت التركيز عليها, و قد قام المحققون من علما الامامية بالاجابة عليها في مؤلفات مستقلة لا مجال لنقل معشار ما جا فيها, غير ان الاحالة لما كانت عن المحذورغير خالية , نبحث عنها على وجه الاجمال , ونحيل من اراد التبسط الى المصادرالمؤلفة في هذا المجال .

السؤال الاول :

كيف يكون اماما وهو غائب ؟ وما فائدته ؟.

ان القيادة والهداية والقيام بوظائف الامامة , هو الغاية من تنصيب الامام , او اختياره ,وهو يتوقف على كونه ظاهرا بين ابنا الامة , مشاهدا لهم , فكيف يكون اماماقائدا, وهو غائب عنهم ؟ والجواب : على وجهين نقضا وحلا.

اما النقض : فان التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرف على اوليا الله ,وانهم بين ظاهر قائم بالامور ومختف قائم بها من دون ان يعرفه الناس .

ان , كتاب الله العزيز يعرفنا على وجود نوعين من الائمة و الاوليا و القادة للامة , ولي غائب مستور, لا يعرفه حتى نبي زمانه , كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى (ع) بقوله : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما #قال له موسى هل اتبعك على ا ن تعلمن مما علمت رشدا) الايات ((٢٠٧)) .

وولي ظاهر باسط اليد, تعرفه الامة وتقتدي به .

فالقرآن اذن يدل على ان الولي ربما يكون غائبا , ولكنه مع ذلك لا يعيش في غفلة عن امته , بل يتصرف في مصالحها ويرعى شؤونها, من دون ان يعرفه ابنا الامة .

فعلى ضؤ الكتاب الكريم , يصح لنا ان نقول بان الولي اما ولي حاضر مشاهد, اوغائب محجوب .

والى ذلك يشير الامام علي بن ابي طالب في كلامه لكميل بن زياد النخعي , يقول كميل : اخذ بيدي امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) , فاخرجني الى الجبان ,فلما اصحر, تنفس الصعدا, وكان مما قاله : ((اللهم بلى , لا تخلو الارض من قائم لله بحجة , اما ظاهرا مشهورا, او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته)) ((٢٠٨)) .

وليست و ليست غيبة الامام المهدي بدعا في تاريخ الاوليا, فهذا موسى بن عمران ,قد غاب عن قومه قرابة اربعين يوما, وكان نبيا وليا, يقول سبحانه : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) ((٢٠٩)) .

وهذا يونس كان من انبيا الله سبحانه , و مع ذلك فقد غاب في الظلمات كما يقول سبحانه : (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين # فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) ((٢١٠)) .

اولم يكن موسى ويونس نبيين من انبيا الله سبحانه ؟ وما فائدة نبي يغيب عن الابصار , ويعيش بعيدا عن قومه ؟.

فالجواب في هذا المقام , هو الجواب في الامام المهدي (ع) , وسيوافيك ما يفيدك من الانتفاع بوجود الامام الغائب في زمان غيبته في جواب السؤال التالي .

واما الحل : فمن وجوه :

الاول : ان عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته , لا يدل على عدم كونه مفيدا في زمن غيبته , فالسائل جعل عدم العلم , طريقا الى العلم بالعدم فيقيم البسطا عدم العلم , بالفائدة , مقام العلم بعدمها, وهذا من اعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية , ولا شك ان عقول البشر لا تصل الى كثير من الامور المهمة في عالم التكوين والتشريع , بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه , وان كان فعله سبحانه منزها عن العبث , بعيدا عن اللغو.

وعلى ذلك فيجب علينا التسليم امام التشريع اذا وصل الينا بصورة صحيحة كماعرفت من تواتر الروايات على غيبته .

الثاني : ان الغيبة لا تلازم عدم التصرف في الامور, و عدم الاستفادة من وجوده , فهذامصاحب موسى كان وليا, لجا اليه اكبر انبيا الله في عصره , فقد خرق السفينه التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك , و لم يعلم اصحاب السفينة بتصرفه , والا لصدوه عن الخرق , جهلا منهم بغاية عمله كما انه بنى الجدار, ليصون كنز اليتيمين , فاي مانع حينئذ من ان يكون للامام الغائب في كل يوم وليلة تصرفا من هذا النمط من التصرفات ويؤيد ذلك ما دلت عليه الروايات من انه يحضر الموسم في اشهر الحج , ويحج ويصاحب الناس , ويحضرالمجالس , كما دلت على انه يغيث المضطرين , ويعود المرضى , وربما يتكفل بنفسه الشريفة ـ قضا حوائجهم , وان كان الناس لا يعرفونه .

الثالث : المسلم هو عدم امكان وصول عموم الناس اليه في غيبته , واما عدم وصول الخواص اليه , فليس بامر مسلم , بل الذي دلت عليه الروايات خلافه , فالصلحامن الامة الذين يستدر بهم الغمام , لهم التشرف بلقائه , والاستفادة من نوروجوده , وبالتالي تستفيد الامة بواسطتهم .

الرابع : لا يجب على الامام ان يتولى التصرف في الامور الظاهرية بنفسه , بل له تولية غيره على التصرف في الامور كما فعل الامام المهدي ـ ارواحنا له الفدا ـ في غيبته ففي الغيبة الصغرى , كان له وكلا اربعة , يقومون بحوائج الناس , وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بهم وفي الغيبة الكبرى نصب الفقها والعلماالعدول العالمين بالاحكام , للقضا واجرا سياسات , واقامة الحدود, وجعلهم حجة على الناس , فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف , وبيان الاحكام , ودفع الشبهات , وبكل ما يتوقف عليه نظم امور الناس ((٢١١)) .

والى هذه الاجوبة اشار الامام المهدي (ع) في آخر توقيع له الى بعض نوابه , بقوله :((واما وجه الانتفاع بي في غيبتي , فكالانتفاع بالشمس اذا غيبها عن الابصار,السحاب)) ((٢١٢)) .

السؤال الثاني :

لماذا غاب المهدي (ع)؟.

ان ظهور الامام بين الناس , يترتب عليه من الفائدة ما لا يترتب عليه في زمن الغيبة ,فلماذا غاب عن الناس , حتى حرموا من الاستفادة من وجوده , وما هي المصلحة التي اخفته عن اعين الناس ؟.

الجواب :.

ان هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل :

اما النقض : فبما ذكرناه في الاجابة عن السؤال الاول , فان قصور عقولنا عن ادراك اساب غيبته , لا يجرنا الى انكار المتضافرات من الروايات , فالاعتراف بقصورافهامنا اولى من رد الروايات المتواترة , بل هو المتعين .

واما الحل : فان اسباب غيبته , واضحة لمن امعن فيما ورد حولها من الروايات , فان الامام المهدي (ع) هو آخر الائمة الاثني عشر الذين وعد بهم الرسول , و اناطعزة الاسلام بهم , و من المعلوم ان الحكومات الاسلامية لم تقدرهم , بل كانت لهم بالمرصاد, تلقيهم في السجون , وتريق دماهم الطاهرة , بالسيف او السم , فلوكان ظاهرا, لاقدموا على قتله , اطفا لنوره , فلاجل ذلك اقتضت المصلحة ان يكن مستورا عن اعين الناس , يراهم ويرونه ولكن لا يعرفونه , الى ان تقتضي مشيئة اللّه سبحانه ظهوره , بعد حصول استعداد خاص في العالم لقبوله ,والانضوا تحت لوا طاعته , حتى يحقق اللّه تعالى به ما وعد به الامم جمعا من توريث الارض للمستضعفين .

وقد ورد في بعض الروايات اشارة الى هذه النكتة , روى زرارة قال : سمعت ابا جعفر(الباقر (ع)) يقول : ان للقائم غيبة قبل ان يقوم , قال : قلت : ولم ؟ قال : يخاف قال زرارة : يعني القتل .

وفي رواية اخرى : يخاف على نفسه الذبح ((٢١٣)) .

وسيوافيك ما يفيدك عند الكلام عن علائم ظهوره .

السؤال الثالث :

الامام المهدي وطول عمره :

ان من الاسئلة المطروحة حول الامام المهدي , طول عمره في فترة غيبته , فانه ولدعام ٢٥٥ ه, فيكون عمره الى الاعصار الحاضرة اكثر من الف ومائة وخمسين عاما, فهل يمكن في منطق العلم ان يعيش انسانا هذا العمر الطويل ؟.

والجواب :

من وجهين , نقضا وحلا.

امانقض : فقد دل الذكر الحكيم على ان شيخ الانبيا عاش قرابة الف سنة , قال تعالى : (فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) ((٢١٤)) .

وقد تضمنت التوراة اسما جماعة كثيرة من المعمرين , وذكرت احوالهم في سفرالتكوين ((٢١٥)) .

وقد قام المسلمون بتاليف كتب حول المعمرين , ككتاب ((المعمرين)) لابي حاتم السجستاني , كما ذكر الصدوق اسما عدة منهم في كتاب ((كمال الدين)) ((٢١٦)) ,والعلامة الكراجكي في رسالته الخاصة , باسم ((البرهان على صحة طول عمرالامام صاحب الزمان)) ((٢١٧)) , والعلامة المجلسي في البحار ((٢١٨)) , وغيرهم .

واما الحل : فان السؤال عن امكان طول العمر, يعرب عن عدم التعرف على سعة قدرة اللّه سبحانه : (وما قدروا اللّه حق قدره) ((٢١٩)) , فانه اذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه , برعاية اللّه سبحانه , فاي مشكلة في ان يمد اللّه سبحانه في عمره ما شا, ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهنا.

وبعبارة اخرى : ان الحياة الطويلة اما ممكنة في حد ذاتها او ممتنعة , والثاني لم يقل به احد, فتعين الاول , فلا مانع من ان يقوم سبحانه بمد عمر وليه , لتحقيق غرض من اغراض التشريع .

اضف الى ذلك ما ثبت في علم الحياة , من امكان طول عمر الانسان اذا كان مراعيالقواعد حفظ الصحة , وان موت الانسان في فترة متدنية , ليس لقصور الاقتضا,بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة , ولو امكن تحصين الانسان منها بالادوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شا.

وهناك كلمات ضافية من مهرة علم الطب في امكان اطالة العمر, وتمديد حياة البشر,نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة ((٢٢٠)) .

وبالجملة , اتفقت كلمة الاطبا على ان رعاية اصول حفظ الصحة , توجب طول العمر, فكلما كثرت العناية برعاية تلك الاصول , طال العمر, و لاجل ذلك نرى ان الوفيات في هذا الزمان , في بعض الممالك , اقل من السابق , و المعمرين فيها اكثرمن ذي قبل , وما هو الا لرعاية اصول الصحة , ومن هنا اسست شركات تضمن حياة الانسان الى امد معلوم تحت مقررات خاصة وحدود معينة , جارية على قوانين حفظ الصحة , فلو فرض في حياة شخص اجتماع موجبات الصحة من كل وجه , طال عمره الى ما شا الله .

واذا قرات ما تدونه اقلام الاطبا في هذا المجال , يتضح لك معنى قوله سبحانه :(فلولا انه كان من المسبحين # للبث في بطنه الى يوم يبعثون) ((٢٢١)) .

فاذا كان عيش الانسان في بطون الحيتان , في اعماق المحيطات , ممكنا الى يوم البعث , فكيف لا يعيش انسان , على اليابسة , في اجوا طبيعية , تحت رعاية الله وعنايته , الى ما شا الله ؟.

السؤال الرابع :

علائم ظهوره (ع) , ماهي ؟.

اذا كان للامام الغائب , ظهورا بعد غيبة طويلة , فلابد من ان يكون لظهوره علائم واشراط تخبر عن ظهوره , فما هي هذه العلائم ؟.

الجواب :

ان ما جا في كتب الاحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين :

قسم هو من اشراط الساعة وعلامات دنو القيامة .

وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر.

وربما وقع الخلط بينهما في الكتب , ونحن نذكر القسم الثاني منهما, وهو عبارة عن امور عدة , منها:

١ـ الندا في السما.

٢ـ الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.

٣ـ الشقاق والنفاق في المجتمع .

٤ـ ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج في الامة .

٥ـ ابتلا الانسان بالموت الاحمر والابيض .

٦ـ قتل النفس الزكية .

٧ـ خروج الدجال .

٨ـ خروج السفياني .

و غير ذلك مما جا في الاحاديث الاسلامية ((٢٢٢)) .

هذه هي علامات ظهوره , ولكن هناك امورا تمهد لظهوره , وتسهل تحقيق اهدافه نشير الى ابرزها:

١ـ الاستعداد العالمى : و المراد منه ان المجتمع الانساني ـ و بسبب شيوع الفساد يصل الى حد, يقنط معه من تحقق الاصلاح بيد البشر, و عن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة , وان ضغط الظلم والجور على الانسان يحمله على ان يذعن ويقر بان الاصلاح لا يتحقق الا بظهور اعجاز الهي , وحضورقوة غيبية , تدمر كل تلك التكتلات البشرية الفاسدة , التي قيدت باسلاكها اعناق البشر.

٢ـ تكامل العقول : ان الحكومة العالمية للامام المهدي (ع) لا تتحقق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للاعدا, وانما تتحقق برغبة الناس اليها, وتاييدهم لها,لتكامل عقولهم ومعرفتهم .

يقول الامام الباقر (ع) في حديث له يرشد فيه الى انه اذا كان ذلك الظرف , تجتمع عقول البشر وتكتمل احلامهم : ((اذا قام قائمنا, وضع اللّه يده على رؤوس العباد,فيجمع بها عقولهم , تكتمل به احلامهم)) ((٢٢٣)) .

فقوله (ع) : فيجمع بها عقولهم , بمعنى ان التكامل الاجتماعي يبلغ بالبشر الى الحدالذي يقبل فيه تلك الموهبة الالهية , ولن يترصد للثورة على الامام والانقلاب عليه , وقتله او سجنه .

٣ـ تكامل الصناعات : ان الحكومة العالمية الموحدة لا تتحقق الا بتكامل الصناعات البشرية , بحيث يسمع العالم كله صوته ونداه , وتعاليمه وقوانينه في يوم واحد,و زمن واحد.

قال الامام الصادق (ع) : ((ان المؤمن في زمان القائم , وهو بالمشرق يرى اخاه الذي في المغرب , وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي بالمشرق)) ((٢٢٤)) .

٤ـ الجيش الثوري العالمي : ان حكومة الامام المهدي (ع) وان كانت قائمة على تكامل العقول , ولكن الحكومة لا تستغني عن جيش فدائي ثائر وفعال , يمهدالطريق للامام (ع) , ويواكبه بعد الظهور الى تحقق اهدافه وغاياته المتوخاة .

- هوامش ---.

١- اقتباس مما ذكره امين الاسلام الطبرسي في مقدمة كتابه اعلام الورى باعلام الهدى ٣.
٢- راجع مسند احمد ٣٣١/١, ١٨٢/٥-١٨٩, حلية الاوليا ٦٢/١-٦٨, ولاحظالغدير ٣٣/٢.
٣- مجمع البيان ٣٧/٤.
٤- كشف الغمة ٦٠/١.
٥- مروج الذهب ٣٤٩/٢, شرح الشفا للقاضي عياض ١٥١/١ و غيرهما, و قدافرد العلامة
٦- شرح عينية عبدالباقي افندي العمري ١٥.
٧- الغدير ٢٢/٦.
٨- كشف الغمة ٦٠/١.
٩- نهج البلاغة - شرح عبده - ١٨٢/٢ الخطبة القاصعة .
١٠- بحار الانوار ٤٤/٣٥, و سيرة ابن هشام ٢٤٦/١.
١١- نهج البلاغه - شرح عبده - ١٨٢/٢.
١٢- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغه ٢٠٨/١٣.
١٣- نهج البلاغه : الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.
١٤- نهج البلاغة : الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.
١٥- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣١٠/١٣.
١٦- نهج البلاغه : الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.
١٧- الامام علي صوت العدالة الانسانية ٣٧/١.
١٨- الغدير ٣٨/٦ طبعة النجف .
١٩- الامام علي صوت العدالة الانسانية ٤٩/١.
٢٠- الاسرا /٩٣.
٢١- الاعراف /٥٦.
٢٢- اخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ٤١٠/٤.
٢٣- اخرجه الحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء ٨٦/١.
٢٤- مناقب احمد لابن الجوزي الحنبلي ١٦٣.
٢٥- تفسير مفاتيح الغيب ٢٠٥/١.
٢٦- المصدر نفسه ٢٠٤.
٢٧- شواهد التنزيل ١٠٨/١ ح ١٥٣.
٢٨- مسند احمد ١٩٠/١, تاريخ الخلفا ١٧١.
٢٩- الصواعق المحرقة , الباب التاسع , الفصل الثالث ٧٦.
٣٠- تاريخ الخلفا ١٨٢.
٣١- ميزان الاعتدال ٤٨٤/١.
٣٢- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغه ٢٢٥/١٨ و غيره .
٣٣- الطور /٣٠.
٣٤- الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٢, العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩.
٣٥- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦, الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣.
٣٦- رابغ تقع الان على الطريق بين مكة و المدينة .
٣٧- من مواقيت الاحرام و تنشعب منها طرق المدنيين و المصريين و العراقيين .
٣٨- المائدة /٦٧.
٣٩- لقد كرر النبي (ص) هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لاي التباس او اشتباه .
٤٠- راجع للوقوف على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعة الغدير للعلامة الاميني (ره).
٤١- المائدة /٦٧.
٤٢- المائدة /٣.
٤٣- المعارج /١-٣.
٤٤- راجع كتاب الغدير في شان نزول هذه الايات ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٧.
٤٥- وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٠.
٤٦- المصدر نفسه .
٤٧- ترجمة الاثار الباقية ص ٣٩٥, الغدير ج ١ ص ٢٦٧.
٤٨- ثمار القلوب ص ٥١١.
٤٩- راجع مصدره في الغدير ج ١ ص ٢٧٠.
٥٠- قد استخرج هذه الخصائص الكاتب القدير محمد جواد مغنيه - رحمه الله - في كتابه : الشيعة
٥١- ابن الصباغ المالكي (المتوفى عام ٨٥٥ ه): الفصول المهمة ١٥٢.
٥٢- الاحزاب /٤٥.
٥٣- هود /١٠٣.
٥٤- بحار الانوار ١٣/١.
٥٥- ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة ١٥٤.
٥٦- الشيخ الطبرسي (٢٠٧-٢٠٨ ه): اعلام الورى باعلام الهدى , و من ارادالوقوف على
٥٧- الشورى /٢٣.

٥٨- مقاتل الطالبيين ٥٢.
٥٩- المفيد: الارشاد ١٨٨.
٦٠- مقاتل الطالبيين ٥٥.
٦١- المفيد: الارشاد ١٨٨ , مقاتل الطالبيين ٥٢.
٦٢- ومن اراد الوقوف عليها فليرجع الى مقاتل الطالبيين ٥٣ الى ٧٢ وبالامعان فيهاوما اظهر
٦٣- ابن صباغ المالكي : الفصول المهمة ١٦٣.
٦٤- المفيد: الارشاد ١٩١ طبعة النجف .
٦٥- مقاتل الطالبيين ٧٣.
٦٦- الارشاد ١٩٣, كشف الغمة ٢٠٩/١, مقاتل الطالبيين ٧٤-٧٥.
٦٧- مقاتل الطالبيين ٧٦.
٦٨- الامين العاملي : في رحاب ائمة اهل البيت ٤٣.
٦٩- الحراني , حسن بن شعبة , تحف العقول ٢٢٥-٢٣٦.
٧٠- الامامة و السياسية ١٦٣/١.
٧١- الامامه و السياسية ١٦٤/١.
٧٢- الشيخ المفيد: الارشاد ٢٠٠ طبع النجف .
٧٣- الخوارزمي : مقتل الحسين ١٨٤/١-١٨٥.
٧٤- المفيد: الارشاد ٢٠٤.
٧٥- الطبري : التاريخ ٣٠٤/٤ حوادث سنة ٦١ ه, واما ما جرى على الامام و اهل بيته حتى نزل
٧٦- المفيد: الارشاد ٢٢٤-٢٢٨.
٧٧- القمي سفينة البحار ٣٠/٢ ماده امر.
٧٨- الجزري : الكامل ٢٦٦/٢-٢٦٧, و الارشاد ٢٠٣.
٧٩- نهج البلاغه , قسم الكتب , برقم ٦٥.
٨٠- الاصابة ٨١/١ برقم ٢٦٦.
٨١- لاحظ المحاورات التي جرت بين الامام و هؤلا في الارشاد ٢٠١-٢٠٢ طبع النجف و مقاتل
٨٢- اللهوف ٤١ طبعة بغداد.
٨٣- تذكرة الخواص ٢١٧-٢١٨.
٨٤- الارشاد ٢١٨.
٨٥- المصدر نفسه : ٢٢٣.
٨٦- المفيد: الارشاد ٢٢٥, و الطبري في تاريخه ٢٠٤/٥.
٨٧- جنة الماوى ٢٠٨ للشيخ محمد حسين كاشف الغطا.
٨٨- البيتان الاولان لابن الزبعرى , و الثلاثة الاخيرة ليزيد, لاحظ تذكرة الخواص ٢٣٥.
٨٩- وفيات الاعيان ٢٦٧/٣-٢٦٩.
٩٠- تذكرة الخواص ٢٩٤.
٩١- كشف الغمة ٢٩٢/٢-٢٩٣.
٩٢- في رحاب ائمة اهل البيت ٤١٤/٣.
٩٣- مقدمة الصحيفة بقلم العلامة المرعشي - قدس سره - ٢٨.
٩٤- الصحيفة السجادية الجامعة ١٣.
٩٥- الخصال ٥٦٤-٥٧٠ في ابواب الخمسين .
٩٦- تحف العقول ١٨٣-١٩٥.
٩٧- لسان العرب ٧٤/٤.
٩٨- الصواعق المحرقه ٢٠١.
٩٩- البداية و النهاية ٣٠٩/٩.
١٠٠- وفيات الاعيان ١٧٤/٤.
١٠١- اعلام الورى باعلام الهدى ٢٦٤-٢٦٥.
١٠٢- ابن الجوزي تذكرة الخواص ٣٠٢-٣٠٣, الفصول المهمة ٢١٥-٢١٦.
١٠٣- الارشاد ٢٦٢.
١٠٤- الفصول المهمة ٢١٠ نقله عن ارشاد الشيخ المفيد ٢٦١, فلاحظ.
١٠٥- الصواعق المحرقه ٣٠١.
١٠٦- الاحتجاج ٥٤/٢-٦٩ طبع النجف .
١٠٧- الارشاد ٢٦٥, و لعل المناظر هو عبدالله بن نافع الازرق , لان نافعا قتل عام ٦٥من الهجرة
١٠٨- حلية الاوليا ١٨٠/٣-٢٣٥ و في بعض ما نقل تامل و نظر و الحسن بن علي بن شعبة في
١٠٩- وفيات الاعيان ٣٢٧/١ رقم الترجمة ٣١.
١١٠- كشف الغمة ٣٦٨/٢ و فيه ايوب السختياني و الصحيح ما ذكرناه .
١١١- بحار الانوار, ج ٤٧ ص ٢١٧-٢١٨ اسد حيدر: الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ٤ ص
١١٢- اسد حيدر: الامام الصادق ج ١ ص ٥٣ نقلا عن التهذيب , ج ٢ ص ١٠٤ والمجالس السنية ج
١١٣- اسد حيدر: الامام الصادق ج ١ ص ٥٥ نقلا عن رسائل الجاحظ, ص ١٠٦.
١١٤- كشف الغمة ٣٦٨/٢.
١١٥- لاحظ الكافي ٣٠٦/١-٣٠٧.
١١٦- الارشاد ٢٧٠ و المناقب لابن شهر آشوب ٢٥٧/٤.
١١٧- تاريخ الخلفا للسيوطي خلافة المنصور الدوانيقي , فقد حدد تاريخ التدوين بسنة ١٤٣ ه.

١١٨- الرجال للنجاشي ١٣٩ برقم ٧٩.
١١٩- الاحتجاج ٢/٦٩-١٥٥ و التوحيد للصدوق , و قد بسطها على ابواب مختلفه .
١٢٠- كابي حنيفة و مالك .
١٢١- مختصر تاريخ الغرب , تعريب : عفيف البعلبكي ص ١٩٣.
١٢٢- و لقد جمع اسما هذه الرسائل السيد الامين في اعيانه ٦٦٨/١.
١٢٣- اي لم تروه عن طريق صحيح , و الفعل مبني للمجهول .
١٢٤- اليعقوبي , التاريخ ج ٣ ص ١١٥.
١٢٥- محمد ابو زهرة : الامام الصادق ص ٣٠.
١٢٦- اسد حيدر: الامام الصادق ج ١ ص ٣٨ نقلا عن كتاب جعفر بن محمد, لسيدالاهل .
١٢٧- الفصول المهمه ٢٣١.
١٢٨- لاحظ للوقوف على تلك النصوص الكافي ١/٣٠٧ - ٣١١, ا ثبات الهداة٣ /١٥٦ - ١٧٠ فقد
١٢٩- وفيات الاعيان ٣٠٩/٥.
١٣٠- قرية بالحجاز بينها و بين المدينة يومان و قيل ثلاثة , افاهاالله تعالى على رسوله (ص)
١٣١- ربيع الابرار ٣١٥/١.
١٣٢- المفيد: الارشاد ٢٩٦.
١٣٣- تحف العقول ٣٠٣, المناقب لابن شهر آشوب ٣١٤/٤.
١٣٤- مقاتل الطالبيين ٤٩٩-٥٠٠, تاريخ بغداد ٢٨.
١٣٥- الفصول المهمة ٢٣٨, و الايتان من سورتي الانعام ٨٤, و آل عمران ٦١.
١٣٦- المفيد: الارشاد ٢٩٨, و لاحظ جوانب من حكمه و وصاياه في الكافي١ /١٣-٢٠, و تحف
١٣٧- البدايه و النهاية ١٨٣/١٠.
١٣٨- قال ابوالفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ٥٠٢: لما اعتقل الرشيد الامام الكاظم (ع) امر
١٣٩- مقاتل الطالبيين ٥٠٤.
١٤٠- لاحظ للوقوف على النصوص , الكافي ١/٣١١-٣١٩ و الارشاد ٣٠٤-٣٠٥, واثبات الهداة
١٤١- الارشاد ٣٠٤.
١٤٢- ابن الجوزي : تذكرة الخواص ٣١٥.
١٤٣- الفصول المهمة ٢٤٣ نقلا عن مطالب السؤول .
١٤٤- لقد جمع الشيخ الطبرسي قسما من هذه الاحتجاجات في كتابه
١٤٥- الاحتجاج للطبرسي ١٨٤/٢.
١٤٦- الارشاد للمفيد ٣١٠.
١٤٧- الفصول المهمة ٢٤٦, الارشاد ٣١٦, الاغاني ٥٨/١٨, زهر الاداب ٨٦/١,معاهد
١٤٨- المفيد: الارشاد ٣١٢.
١٤٩- اعيان الشيعة ٢١/٢-٢٢.
١٥٠- ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٧٠/٣.
١٥١- انظر الكافي ١/٣٢٠-٣٢٣, اثبات الهداة ٣٢١-٣٢٨.
١٥٢- الفصول المهمة ٢٦٦.
١٥٣- الارشاد ٣١٩-٣٢١, و اعلام الورى ٣٥٢ و للقصة صلة فراجع .
١٥٤- الارشاد ٣٢٢.
١٥٥- و في الارشاد ٣٢٦, و في اعلام الورى ٣٠٤: و كان سبب ورود الامام الى بغداداشخاص
١٥٦- ابن شهر آشوب : المناقب ٣٧٩/٤.
١٥٧- ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب ٤٠١/٤ طبع قم .
١٥٨- شذرات الذهب ١٢٨/٢ في حوادث سنة ٢٥٤.
١٥٩- الارشاد ٣٢٧.
١٦٠- الكليني الكافي ١/٣٢٣-٣٢٥, الشيخ الحر العاملي : اثبات الهداة ٣٠ /٣٥٥-٣٥٨.
١٦١- روي ان بريحة العباسي احد انصار المتوكل و ازلاه كتب اليه : ان كان لك بالحرمين حاجة
١٦٢- سبط بن الجوزي , تذكرة الخواص ٣٢٢.
١٦٣- ربما يروى ((ينتقل)).
١٦٤- المسعودي : مروج الذهب ١١/٤.
١٦٥- تحف العقول ٢٣٨-٣٥٢.
١٦٦- غافر/٨٤-٨٥.
١٦٧- ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب ٤٠٣/٤-٤٠٥.
١٦٨- الارشاد ٣٢٧.
١٦٩- اثبات الوصية .
١٧٠- الكليني : الكافي ٥٠٣/١.
١٧١- الخطيب : تاريخ بغداد ٣٦٦/٧.
١٧٢- ابن الجوزي : تذكرة الخواص ٣٢٢.
١٧٣- المفيد: الارشاد ٣٣٥.
١٧٤- العطاردي : مسند الامام العسكري و قد جمع فيه كل ما روي عنه و اسند اليه .
١٧٥- ابن خلكان : وفيات الاعيان ٩٤/٢.
١٧٦- تذكرة الخواص ٣٢٤.
١٧٧- الارشاد ٢٧٤.

١٧٨- وسائل الشيعة ج ١٨, الباب الثامن من ابواب صفات القاضي , الحديث ٨٦.
١٧٩- الاسرا / ٨٨.
١٨٠- الصدوق : معاني الاخبار ٢٤, و للحديث ذيل فمن اراد فليرجع الى الكتاب .
١٨١- الكليني : الكافي ج ١ كتاب العقل و الجهل الحديث ٢٤/٢٠-٢٥.
١٨٢- الصدوق : معاني الاخبار ٣٣.
١٨٣- المصدر نفسه : ٣٦.
١٨٤- الرعد/ ٣٩.
١٨٥- المسعودي : اثبات الوصية ٢٤١.
١٨٦- رواه غير واحد من اصحاب الصحاح و المسانيد و هو من الاحاديث المتواترة ,(لاحظ
١٨٧- مريم /١٢.
١٨٨- مريم / ٣٠.
١٨٩- النور /٥٥.
١٩٠- القصص /٥.
١٩١- الانبيا /١٠٥.
١٩٢- مسند احمد ٩٩/١, ١٧/٣-٧٠.
١٩٣- جامع الاصول ٤٨/١١ برقم ٧٨١٠.
١٩٤- جامع الاصول ٤٨/١١ برقم ٧٨١٢.
١٩٥- المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.
١٩٦- الدكتور عبدالباقي : بين يدي الساعة ١٢٣.
١٩٧- اقرا هذه النصوص في كتاب ((كمال الدين)) للشيخ الصدوق ٣٠٦-٣٨١ ه ترى فيه
١٩٨- اعيان الشيعة ٦٤/٢-٧٥.
١٩٩- الصدوق : كمال الدين و تمام النعمة ٣٧٢/٢.
٢٠٠- الصدوق : كمال الدين ٢:٤٠٧ الباب ٣٨ الحديث ٢.
٢٠١- الحر العاملي : اثبات الهداة ٣:٧٠٠, الباب ٣٣, الحديث ١٣٦.
٢٠٢- الصدوق : كمال الدين ٢:٣٨٤ الباب ٣٨ الحديث ١.
٢٠٣- المصدر نفسه : ٢:٤٧٣ الباب ٤٣ الحديث ٢٥.
٢٠٤- الكليني ١:٣٢٩ الحديث ١.
٢٠٥- الصدوق : كمال الدين ٢:٤٢٥ الباب ٤٢ الحديث ١.
٢٠٦- الشيخ الطوسي الغيبة : ١٤٨, كشف الغمة ٣:٢٨٩ عن الخرائج : و غيرهما من المصادر.
٢٠٧- الكهف /٦٥-٨٢.
٢٠٨- نهج البلاغه بتعليقات عبده , ج ٤, ص ٣٧ قصار الحكم , الرقم ١٤٧.
٢٠٩- الاعراف /١٤٢.
٢١٠- الانبيا /٨٧-٨٨.
٢١١- المراد من الغيبة الصغرى , غيبته - صلوات الله عليه - منذ وفاة والده عام ٢٦٠ه الى عام
٢١٢- الصدوق : كمال الدين , الباب ٤٥, ص ٤٨٥ الحديث ٤ و قد ذكر العلامة المجلسي في
٢١٣- لاحظ كمال الدين , الباب ٤٤, ص ٢٨١ الحديث ٨ و ٩ و ١٠.
٢١٤- العنكبوت /١٤.
٢١٥- التوراة , سفر التكوين , الاصحاح الخامس , الجملة ٥, و ذكر هناك اعمار آدم , وشيث و
٢١٦- كمال الدين , ص ٥٥٥.
٢١٧- الكراجكي : البرهان على طول عمر صاحب الزمان , ملحق ب((كنز الفوائد)), له ايضا, الجز
٢١٨- بحار الانوار ج ٥١, الباب ١٤, ص ٢٢٥-٢٩٣.
٢١٩- الانعام /٩١.
٢٢٠- لاحظ مجلة المقتطف , الجز الثالث من السنة التاسعة و الخمسين .
٢٢١- الصافات /١٤٣ و ١٤٤.
٢٢٢- لاحظ للوقوف على هذه العلائم , بحار الانوار ج ٥٢, الباب ٢٥, ص ١٨١-٣٠٨ كتاب
٢٢٣- منتخب الاثر, ص ٤٨٣.
٢٢٤- منتخب الاثر, ص ٤٨٣.